

ديوان عابر سبيل

عباس محمود العقاد



ديوان عابر سبيل

ديوان عابر سبيل

تأليف

عباس محمود العقاد



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٣/١٩٩٢٩

تدمك: ٣ ٤٨٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	الموضوعات الشعرية
١١	الموضوعات
٤٣	أناشيد وأغاني
٥١	قوميات
٦٧	تأملات
٧٧	ربيعيات
٨٧	متفرقات
٩٥	رثاء

الموضوعات الشعرية

كلمة: «أنا حاضرة» إذا كتبتها معشوقة إلى عاشق، حملت إليه من الفرحة والشوق، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ما تضيق عنه أشعار العبقرين ورسائل البلغاء، وهي تُعدُّ من أتفه الجمل، التي يتألف منها الكلام المركب المفيد، وليس في وسع تلميذ يتدرب على تأليف الجمل من مبتدأ وخبر أن يأتي بأتفه منها في الكلام.

وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس، فيُلقي فيه بكلمتين اثنتين هما: «فلان يحترق»، ويكون في المجلس أبو فلان هذا وصديق له، وإنسان لا يعرفه، وعدو من أعدائه، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة، وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة؛ ثم تنظر إلى صدى الكلمتين في نفوس أولئك الجلساء؛ فإذا هو مختلف أشد اختلاف: هذا يثبُّ معولاً، وهذا يجري مهرولاً، وذلك يسمع ويكاد لا يشعر بشيء، وإلى جانبه من يسمع ويبتسم، ومعهم من يأسفون وهم يسمعون، ومعهم أيضاً من لا يأسفون وكأنهم لا يسمعون. وإنما اختلف شعورهم بفلان هذا الذي يحترق؛ فاختلف معنى الكلمتين، وأثر هذا المعنى حسبما اختلف الشعور. والجائع السليم يَزْدَرُ الرغيف القفار، يحس في أكله من اللذة والاشتهاء ما لا يحسه مَنْ يجلس إلى المائدة الفاخرة وهو متخوم أو مملوء؛ وإنما اختلفت الرغبة، واختلف الاشتهاء، فاختلف الذوق والشعور.

إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة، ويبث فيه الروح، ويجعله معنى «شعرياً» تهتز له النفس، أو معنى زَريّاً تصدف عنه الأنظار، وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعْر إذا كانت فينا حياة، أو كان فينا نحوه شعور.

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشُّعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشُّعر إلا من هذه

الموضوعات، كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المُتَخَيَّر المستحضر، أو كالمُعْدَم الذي يظن أن المُتَرَفِّين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخلله بوعينا، ونبت فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا — هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهو خير مَعْوَان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور.

فإن الأم التي تنظر إلى طفلها الوليد، ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريساً سعيداً، لا تفرح به يوم عرسه، كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحُلل النفيسة التي نُضيفها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور، نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسُّه الأذواق، ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء، نستمرئ الشعور به والتعبير عنه، كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر الماثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها، ولن تحل عقدة من ألسنتنا؛ حتى يزينها لنا الحُسُّ الناشط والخيال المتوفز، وإن أجمل وجه ليمرُّ بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التي نراها صباح مساء.

وعلى هذا الوجه يرى «عابر السبيل» شِعْرًا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تُحسَّب من أدوات المعيشة اليومية، ولا تُحسب من دواعي الفن والتخيل؛ لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدًى مجيباً في خواطر الناس.

وعندي أننا في حاجة — نحن أبناء العصر الحاضر — إلى هذا التوجيه؛ لإنقاذ النفس الإنسانية لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعودنا العناية بالأشياء؛ وجدنا فيها ما يستحق العناية، وينفض عن النفس تلك التفاهة، التي غلبت على الحياة وعلى الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

ومن الواضح أن التفاهة إنما تغلب على النفس وعلى الشعر لسببين: أحدهما: أن أبناء هذا العصر — ولا سيما في أوروبا — فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد الراسخة

والفضائل الروحية، وفَتَرَتْ نفوسهم من هذه الناحية؛ فلا يصغون إلى الشاعر الذي يَتَغَنَّى لهم بهذه المعاني المهجورة، ولا يظنون أن هناك أحدًا يصدقها أو يغتر بدعواها، وَمَنْ حَدَّثَهُمْ في أغراضها التفتوا إليه ساخرين مُسْتَرِيِبِينَ، كَمَنْ يَلْتَفِت إلى محتال يحاول أن يمد يديه إلى كيس نقوده، وإن كثيرًا من الشعراء والكتاب ليصطنعون «التفاهة» اصطناعًا؛ ليدفعوا عنهم رِيْبَةَ الاحتيال، ويظهروا للناس أنهم أَفْلَتُوا من أوهاق هذه الخديعة.

والسبب الآخر الذي وَسَمَ الشعر الأوربي الحديث بسمة «التفاهة» هو «آداب الصالونات» الشائعة، واعتبار الجمهرة الغالبة من الشعراء والكتاب أن العلاقة بين الشاعر وقارئه كالعلاقة بين جلساء «الصالون» أو جلساء الفراغ، الذين لا يتحدث الواحد منهم إلى صاحبه إلا فيما لا يهم، ولا يثير الخاطر ولا ينفذ إلى ما وراء الظواهر؛ فلا تكون العلاقة بين جلساء الصالون علاقة معلم وتلميذ، أو علاقة صفيين يتكاشفان بلواعج الضمير وهموم السرية، ولا يُعَدُّ من الذوق عندهم أن يخرج الإنسان من الثثرة العامة إلى الدخائل الخاصة والشواغل المطوية.

ولقد كان التهجم العصري خليقًا أن يقضي على آداب الصالونات، كما يقضي «السبورتسمان» على «الجنّتلان»، لولا أننا في عصر تفككت فيه روابط المجتمع، وضعفت الأواصر الإنسانية التي قدستها الأمم الماضية زمنًا طويلًا؛ فجاء التهجم العصري مقرونًا بالأنانية، التي لا يشغلها شاغل من الدنيا غير: إشباع اللذة، وقضاء اللحظة العابرة، والإعراض عما وراء ذلك من الأحاديث والتعلّلات، فلا فرق إذن بين أحلاس «الصالونات» الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ مُجَارَاةً لِّلْعُرْفِ والكياسة، وبين المتهممين العصريين الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ لأنهم لا يهتمون، ولا يحبون أن يهتموا؛ والتفاهة من ثَمَّ غالبية على هؤلاء وهؤلاء.

فإذا تعودنا أن نشعر بما حولنا حقَّ الشعور، وأن نخلع على اليوم الحاضر ما كنا نخلعه على الزمن الماضي من سراويل الجمال والخيال؛ استطعنا أن نقشع عن أبصارنا غشاوة الماضي، دون أن نجعل التفاهة نتيجة لازمةً لانقشاع تلك الغشاوة.

فإن كنا لا نُصَدِّقُ بواق الواق، فلنصدق بالبيوت، وإن كنا لا نصدق بالأبطال، فلنصدق بالرجال، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر، فلنصدق بالحب الشائع، وإن كنا لا نحلم فلنشعر، أو كنا لا نجعل الحلم واقعًا، فلنجعل الواقع حلمًا، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين.

لماذا يكون الحاضر وقفًا على خرافات الماضي أو على أحلامه وأمانيه؟ إن زهرة هذا الربيع لا تنضر؛ لأن زهرة نضرت قبل ألف عام، وإن الإنسان ليستطيع أن يحيا اليوم

وَأَنْ يَشْعُرَ بِالدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ تَحْتَ الشَّمْسِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَحِبُّ الدُّنْيَا
لِلْمَزَايَا الصَّحِيحَةِ أَوْ الْمَكْذُوبَةِ الَّتِي أَحَبَّهَا مِنْ أَجْلِهَا أَسْلَافُهُ وَسَابِقُوهُ.
تلك رسالة هذا الديوان الجديد «عابر سبيل»، وهو اسم يدل على مرماه، ولستُ أقول
إنه أدَّى هذه الرسالة، ولكنني أرجو أن يقنع القُرَّاء بأنها رسالة قابلة للأداء.
عباس محمود العقاد

الموضوعات

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تَعاقب عليها السكان لو أَلْقِيَتْ عليه طَلَسَمَ الخيال، وأمرته بالكلام فتكلم؛ لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدهم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآن أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثير:

جميع الناس سكاني	فهل تدرون عنواني؟
وما للناس من سرٍّ	عدا آذان حيطاني
حديثي عَجِبُ فيه	خفايا الإنس والجنان
فكم قَضَّيت أيامي	بأفراح وأحزان!
وكم آويت من بَرٍّ	وكم آويت من جان!
فإن أرضاكم سري	فهاكم بعض إعلاني

بني الإنسان لن أحف	ل في دهري بإنسان
ألم أعرفكم طرّاً	فلم أسعد بعرفاني؟

أَتَانِي أَوَّلُ السَّكْنِ ^١	وَمَا اسْتَوْفَيْتُ بَنِيَانِي
وَمَا أَرَهَفْتُ آذَانًا	وَلَمْ أَنْسُ بِقُطَّانٍ
وَأَصْغَيْتُ عَلَى مَهْلٍ	فَطَاشَتْ كُلُّ آذَانِي
هَمَا زَوْجَانِ، أَوْ شَيْطَا	نَةَ لَاذَتْ بِشَيْطَانٍ
وَقَدْ عَاشَا وَفِيَيْنِ	بِتَقْدِيرٍ وَحَسْبَانِ
وَرَاخَا - هَكَذَا يَحْكُو	نَ - فِي رَوْحٍ وَرِيحَانِ
وَمَا أَبْصَرْتُ مِنْ هَذَا	وَلَا مِنْ تِلْكَ فِي آنٍ
سَوَى خَوَّانَةٍ خَرَقَا	ءَ تَفْرِي عَرْضَ خَوَّانٍ
إِذَا مَا ضَحَكَا يَوْمًا	عَلَى غَشٍّ وَبَهْتَانٍ
حَسَدَتْ الْبَيْدَ وَالْأَطْلَا	لَ فِي غِيْظِي وَكُتْمَانِي
وَأَشْفَقْتُ مِنَ النِّقْمِ	لَةِ أَنْ تَهْتَزَّ أَرْكَانِي

* * *

وَجَاءَ السَّاكِنُ الثَّانِي	وَبِئْسَ السَّاكِنُ الثَّانِي
يَرَاهُ النَّاسُ ذَا مَالٍ	وَأَفْرَاسٍ وَغِيْطَانٍ
وَقَدْ شَوْهَنِي بِخَلًّا	وَأَعْرَانِي وَأَعْيَانِي
وَقَدْ صَيَّرَنِي سَجْنًا	وَمِنْهُ كَانَ سَجَانِي
فَلَمَّا طَالَ بِي عَهْدًا	وَلَمْ أَسْعِدْ بِهِجْرَانٍ
وَدَدْتُ لَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ	جُحْرٍ أَلْفَ ثَعْبَانٍ
بَدِيلًا مِنْهُ أَرْضَاهُ	وَأَحْبَبُوهُ بِغُفْرَانِي
وَأَنْفَثْتُ سَمَهَا أَوْ يَتَـ	قِي شَرِي وَيَخْشَانِي
إِلَى أَنْ آدَهُ ^٢ أَجْرِي	وَلَمْ يَظْفِرْ بِنَقْصَانٍ
فَأَخْلَانِي وَلَنْ أَنْسَى	سُرُورِي يَوْمَ أَخْلَانِي

* * *

^١ السَّكْنِ.

^٢ أَثْقَلَهُ.

وكان الساكن الثالث	ث ذا عز وسلطان
فما ارتبتُ بأن العـ	ز والذلة سيان
وما ألفيته إلا	لئيمًا جد غفلان
ضعيفًا يستر الضعف	بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغي	عليه شر إذعان
إذا ما لقي الناس	بكبر منه طنّان
فما أصغر ما ألقا	ه منه بين جدران

وأما رابع القوم	فذو علم وتبيان
حشا بالورق اليابـ	س والأخضر حيشاني
فما لي موضع في الأر	ض أو من فوق عمدان
وما لي مطبخ أو مخـ	دع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا	وفيها الكتب تلقاني
أبى للنفس دعوها	ولم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب	ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالخلـ	ق ذاك العالم العاني!
أبينّ الناس يُحتّاج	إلى علم وبرهان؟
وهم عميان ظلماء	سروا في إثر عميان؟
كثير لك يا إنسا	ن في دنياك عينان!

وأما الخامس الجاني	فناهيك بشهوان
فما زودني إلا	بأثداء وأعكان
وهتّاف بالحنـ	وسُمّار على الحان
إذا أمسيتُ مساني	بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضيـ	ك من حسن وإحسان
ومن صون لأسمع	ومن غض لأجفان

فلا تنظرهم ثَمَّ	ة وانظر بين أحضاني
فيا لله كم في الأر	ض من غي وغيان
وكم في القوم من مخدو	ع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار	وخلان وأخدان
لو أني قلت ما أدري	لهدوا كل أركاني
فنعم الصمت والحكم	ة يا صخري وصواني!

* * *

وكم صاحبٌ من أصحا	ب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصي	وعافوا شهوة الزاني
وباتوا بين قربان	وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنيا	على غبن وحرمان
إذا ما شرفتني زم	رة منهم بصحبان
حسبت الأرض تجفوني	فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقر	ب من مجلس فرقان
فقد ألفت بعض الإن	س في العنصر كالجان
ولكن شر ما أوي	ت في لؤم وعصيان
رياء الخائن العادي	على أهل وأوطان
تلقاهم بتمويه	ولاقوه بإيمان
وفي حجرة أسراري	وفي ظلمة أركاني
يبيع الحوزة الكبرى	بربع أو ببستان
ويعطي الحق والذم	ة والفتيا بأثمان
ويُفني أمة تحيي	ه وهو الزائل الفاني
ويمشي بين قتلاه	رفيع الذكر والشان

* * *

ولم أحمد من الضيفا	ن ضيفاً مثل فنّان
تولاني بإبداع	من الفن وإتقان

وغطى كل جدرانى	بمنظور ومُزدان
وأوحى الحسن واستوحا	ه من جنات رضوان
فحيناً حسن مكسو	وحيناً حسن عريان
بريئاً في سماء الف	ن من عبث وأذنان
وفتّاناً على الحالـ	ن لكن أي فتّان
كما تفتنك الزهر	ة في أعطاف أغصان

* * *

جموعٌ لست أُحصيها	ولو دونتُ ديوانى
ومثلي كل جاراتى	ومثلي كل جيرانى
عرفتُ الناس أشتاتاً	بلا عدّ وحسبان
فلم أعرف أأعداء	هم أم جمع أقران؟
إذا ما اختلفوا في سيد	مة تبدو وشغلان
فهم في الموت أشباه	وفي سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا	بكى حيناً وأبكاني
مساكين فلا تحفل	من الناس بإنسان
ولا تحسد فتى منهم	على بأس وإمكان
فأعلاهم وأدناهم	أمام الغيب صنّوان

* * *

نزىل المنزل الخالي	ألا تعرف عنوانى؟
إذا ما طفتَ حولىه	فثق أنك تلقانى
فما من منزل إلا	وفيه بعض ألوانى
تأمل في نواحيه	وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمت فيـ	ه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلواً من	مغاليق وأكنان
إذا ما كانت مستحضـ	ر أراوح وحدثان
فقف في المنزل الخالي	وأرْهفْ سَمْعَ يقظان

وأغمض فيه أجفان	ك وانظر غير وَسْنَانِ
ترَ الأطياف أفواجًا	وتسمع موج طوفانٍ
وتجمع كل ما يُجم	ع من ربح وخسرانٍ
ولا يخطئك تاريخ	ولا دارس أزمانٍ

أمام قفص الجيبون في حديقة الحيوان

القرود العليا هي: «الشمبانزي»، و«الأرانغ أتانغ»، و«الغورلا»، و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشويين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف. ومن هذه القرود العليا ما يصلح — من الوجهة الشُّعرية — أبا للفلاسفة والحكماء، وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله وسكونه واشمئزازه من الحياة! ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع، وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعب طروب، رشيق الحركة خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس لأعبيه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة، كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شَهِدْتَه فاسأل نفسك: ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟!

هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟! هو يأكل طعامه الآن نيتًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة!

أو يفيد العلم؟ قصاره إذن أن يقول: «لست أدري»، كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني وهو قاعد حسير!

أمام قفص الجييون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات:

يا أبا العبقري والبهلوان أيُّ هذا الجييون أنعم سلامًا
مُزريًا في حديقة الحيوان؟ كيف يرضى لك البنون مقامًا

* * *

العب الآن وانتظر بعد حقبا ترقّ في «سلم الرقي» وتعلّ
كيف لم تصعد السلالم وثبًا أيها الصاعد الذي لا يملّ

* * *

يا عميد الفنون صبرًا ومهلاً وارضَ حظ الهتاف والتهليل
مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديق شيئًا فشيئًا تطبخ القوت كله بيديكا
غير إنني إخال ما كان نيئًا منه أجدى في الحاليتين عليكا

* * *

انتظر يا صديق مليون عام أو ملايين لست والله أدري
إن تدانيت بعدها من مقامي فقُصارى المطاف أن لست تدري

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم سوف تتلو نثرًا وتنظم شعراً
وغداً يطفر الخيال ويسمو والذراعان لا تطيقان طفرًا

* * *

وجمال الوجوه سوف تراه في المرايا بعد الطواف الطويل
سوف تحلو في ناظريك حلاه فتَهَيَّأ للضم والتقبيل!

* * *

وإذا ما درستَ أوزان رقص بعد لأي فالرقص فيك انطبأ
هل تنال الكمال من بعد نقص إن أَقَلَّتْكَ فكرة لا ذراعُ

* * *

قفصُ أنت فيه أرحب جدًّا من فضاء نُقيم فيه أُسَارَى
قد ضللنا فيه وهيهات نُهْدَى ونجوم السماء فيه حَيَارَى

* * *

انتظرُ سوف تفهم الشيء باسم بعد رسم وغابر بعد حالٍ
فإذا ما طلبتَ باطن فهم يا صديقي طلبتَ أي محالٍ

* * *

أين بالأمس كنتَ يوم ابتدأنا والتقينَا بآدم في الطريق
قد بلغنا فأين تبلغ أينا حين تمضي وراءنا يا صديقي؟!

* * *

الهُ والعب واضحك كما شئتَ منا أنت طفل الزمان والطفل غرُّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا حين يمضي دهر ويقبل دهرُ

عتب على الجيبون

ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون»؛ فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صايف «المزاج» عن الرقص واللعب؛ فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألعيبه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يُكذَّب شهادته، ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه:

أيها الجيبون لا تف ضح تقاريظي وشكري
أنت بعد اليوم محسو ب على نقدي وشُعري

أنت إن لم تحسن الرق
أنت إن قصرت قالوا
ما لذا العقاد والتقريب
إنه يهرف بالمد
فاملاً الأقفاس يا جـ
وقل: العقاد لا يخـ

ص فمن يحسن عُذري؟
شاعر بالزور يُطري
د و«التقريب» يُغري
ح ولكن ليس يذري
بـون طفرًا أي طُفِر
طئ في تعريف قدر

قَرَشٌ مَعْقُول

إن أحبوا القرش لم يجدوا
فإذا ما الطفل هام به
يا محبي القرش وَيَحْكُم
هل علمتم في طرائفكم
ذاك قرش الطفل نضحك من
وهو أولى من قروشكم
هو «حق» عنده جَلَل
ثمن الحلوى يَلْدُ بها
وأفانين الملاعب لم
وهو وَهْمٌ في خزائنكم
وسجين ثم مُدَّخَر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا
الحياة الحق ناضرة

عجبًا في حبه الخطر
جعلوه طرفة السمير
هل سمعتم أصدق الخبر؟
أي قرش بالهيام حر؟
حبه إياه في الصغر
كلها بالحب والسهير
حاضر الميعاد والأثر
وجمال الحسن والنظر
تخلُّ من نفع ومن ثمر
وخيال كاذب الوطر
لرجاء غير مدخر
منه بالآيات والعبر
فاقطفوا من غصنها النضر

وَجْهَات الدكاكين

هَـذِي المِطَارِفَ صَفَّفتُ عَجَبًا	فَانظُرْ وِراءَ سِتارِها عَجبا
كَمْ مَنظَرٍ تَجْلُوهُ مَبْتَعَدًا	أَوْ مَنظَرٍ تَجْلُوهُ مَقْتَرِبًا
إِنَّ الدِّكَاكِينَ الَّتِي عَرَضْتُ	تِلْكَ المِطَارِفَ تَعْرِضُ النُّوبَا
تَحْكِي الفَوَاجِعَ كُلَّهِنَّ لَنَا	صَدَقًا وَلَا تَحْكِي لَنَا كَذِبَا
هَذَا السِتَارَ فَنَحْ جَانِبَهُ	تَجِدُ القِضَاءَ يَهْيئُ اللَّعِبَا

* * *

انْظُرْ إِلَى النِّسَاجِ مَنحَنِيًا	يَطْوِي بِياضَ نِهارِهِ دَأْبَا
وانْظُرْ إِلَى السِّمَسَارِ مَقْتَصِدًا	أَوْ طامِعًا فِي الرِّيحِ مُغْتَصِبَا
وانْظُرْ إِلَى التِّجَارِ ما عَرَفُوا	غَيْرَ النُّضارِ وَغَدَّةَ تَعَبَا
وانْظُرْ تَرَّ الشَّارِينَ قَدْ سَمَحُوا	بِالْمَالِ يَقْطُرُ مِنْ دَمٍ صَبَا
وانْظُرْ تَرَّ الحَسَناءِ لَابِسَةً	لَمْ تَلْتَمِسْ غَيْرَ الهَوَى أَزْبَا
لو تَعَرَفَ الحَسَناءُ ما صَنَعَتْ	شَقَّتْ جِيوبَ رِداثِها رَهَبَا

* * *

هَذَا زَمَانُ العَرَضِ فانتظروا	عَرَضًا يَرِينَا الوَيْلَ والحَرْبا
بَهَرَ النِّفُوسَ بِكُلِّ ظاهِرَةٍ	وطَوَى جِمالَ النِّفْسِ مُحْتَجِبَا
فالويلُ لِلْعَيْنِ الَّتِي امْتَلَأَتْ	والويلُ لِلْقَلْبِ الَّذِي نَضَبَا

أصداء الشارع

بنو جِرْجَبا ينادون	على تَفاحِ أَمريكا
وإِسْرائِيلَ لا يَأْلُو	كَ تَعْرِيبًا وَتَتْرِيكا
وبتِراكي إِلَى الجُودِ	على الإِسْلامِ يَدْعوكا
وفي كَفِّهِه أوراق	بِكَسْبِ المَالِ تُغْريكا

وأقزامٌ من اليابا	ن بالفصحى تُحييكا
وإن لا تَكُنِ الفصحى	فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا	كِرْجَعِ الصوت من فيكا
دعا الداعي فَلَبَّوْهُ	طغاةً أو صعالিকা
إذا ناديتَ يا رينا	رُ من ذا لا يلبيكا
فما في الناس هاذك	ولا في الأرض هاتيكا

عصر السرعة (١)

طار في الذُّرى	هام في السهول
مُسرع الخُطى	حيثما يجول
ما له عَدَا	عدوة الوعول
ما له سطا	سطوة السيول
في صعوده	يشبه النزول

طَيْفٌ من حديد

الطيف أدخلُ شيء في باب الشعر والأحلام.
والسيارة أدخلُ شيء في باب الصناعة والحركة اليومية.
ولكن السيارة قد تتسرب بحديدها وضوضائها إلى عالم الأحلام إذا نظرت إليها في حالة من الحالات.
وإلا فما هو الطيف؟!
هو شيء يُرى ولا يُلمس، وشيء يتحرك ولا يُسمع لحركته صدى، وشيء يُحيط به البعد والظلام.
فانظر إلى سيارة يَسري مصباحها على البعد في ليلة مظلمة، وأنت ترى الطيف الذي يتحرك ولا يُسمع حراكه، وتلمحه ولا تكاد تنتبث من مرآه.

ذاك بُعْدٌ وانسياب وظلام وانسجام
أي شيء تَمَّ يجري؟ هو طيفٌ لا كلام

* * *

أي شيء ذاك إلا الـ حَظِّفْ يَسْري في منام
يَطْرق العين وهيـ هات^٢ بالسمع يُرام

* * *

تلك سرعة الـ هارب العَجول
تلك سرعة الـ حائر المَلُول
تلك سرعة الـ آثم الخَجول
أين سرعة الـ سَغى والوصول

عصر السرعة (٢)

طاروا وداروا مسرعين في الثرى يركب منهم رأسه من ركبا
لو لم يكن هذا الزمان آفةً ما اتخذوا السرعة منه مهربا

عسكري المرور

متحكمٌ في الراكبين وما له أبداً ركوبة
لهم المَثُوبَة من بَنّا نك حين تأمر والعقوبة
مُر ما بدا لك في الطريق ق ورُض على مهل شعوبه

^٢ هيهات، أي: بُعْدَ جداً.

أنا ثائر أبداً وما في ثورتي أبداً صعوبة
أنا راكب رجلي فلا أمرٌ عليّ ولا ضريبة
وكذاك راكب رأسه في هذه الدنيا العجبة

هو طيف من حديد هو طيف من ضرام
هو سيارة ركب خطرت فوق رغام
ظهرت، غابت، توارت غير مصباح يُشام
وأراها نَقَلْتُني وهي للنقل لزام
سهوة من عالم اليقـ ظى إلى دنيا النيام

الفنادق (١)

فنادق تشبه الدنيا لقاءً وتفرقةً وإن قَصُرَ المقامُ
تقول لكل من وفدوا عليها بأن العيش نهبٌ واغتنامُ
فمن تلقاه في يوم صباحاً تفارقه إذا جنَّ الظلامُ
ورُبَّ عصية في الحب باتت وأقرب من بدايتها الختامُ
تقول لقلبها ما الحب إلا أمان حيث يزدحم الزحامُ
فلا سر هنالك مستباح ولا شوق هنالك أو غرامُ

منازل كل ما فيها انسجام! منازل كل ما فيها انقسام!
بنوها أسرةً ما شَدَّ فيها مقام أو منام أو طعامُ
وما افترقت شعوب الأرض يوماً كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
ففيهم يَافَتْ حِيناً وشيْثُ وفيهم تارة حامٌ وسامُ

الفنادق (٢)

حَسْبُ الفنادق أن تذكرنا مرَّ الفَناء بكل من يحيا
تبدو الوجوه لعين عابرها وتغيب عنه كأنها رؤيا
في كل توديع وتفرقة شيء من التوديع للعنينا

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سيممة القلوب فانظر إلى المسجد من قريب
وقِفْ لديه وَقْفَةً اللبيب في ظُهر يوم الجمعة المحبوب
إنك في حشد هنا عجيب

هذا الذي يمشي ألا تراه كأنما قد حملت يداهُ
سفتجةٌ صاحبها الإله ذاك هو الدَّيْن وقد وفاهُ
فليس للدائن بالمطلوب

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسرُّه ضنينُ
أصغى إليه سامع أمين فَهُوَ إذا صلى كمن يكونُ
في خُلُوةِ النجوى مع الحبيب

وانظر إلى صاحبنا المختال في حُلَّةٍ ضافية الأذيال

٤ السفتجة: هي ورقة التحويل المالي.

أكان في حضرة ذي الجلال أم كان في عرض أو احتفال
يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مُصَلِّ خافَت الدعاء كأنما نصَّ إلى السماء
رسالة في عالم الخفاء فلا يني يبدو لعين الرائي
كالمترجِّي أوبة المكتوب

* * *

ورُبَّ شيخ من ذوي الخَلْق ° فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاق بين تلاميذ له رفاق
عادوا إليه عودة الغريب

* * *

تجمعوا في بيته تعالى وافترقوا في جمعهم أحوالا
وهل نسوا في أرضه النضالا فيحتويهم بيته أمثالا
على اختلاف السَّمْت والنصيب

* * *

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رؤوسهم وبَالا
وألحق المخطئ بالمصيب

° الخير الوافر.

قطار عابر

نامت القرية وانساب القطار
يعرف الساعة لا يخطئها
رُبَّ سارٍ بات في أركانه
يحسب الهَمَّ الذي همَّ به
ودَّ لو يسأل هاتيك القرى
وهو والركب الذي من حوله
عند من يُدلج في تلك القرى
كل ما يبقى له من ذكره
هو في موعده بين الديار
هكذا الجنة في وقت المزار
ودَّ لو يسبق سبَّاق البخار
دارت الأرض عليه حيث دار
ما لقوم لم يسيروا حيث سار
في اشتياق وانطلاق وانتظار
صور منسية في اسم القطار
ضجَّة من حولها ثار غبار

* * *

فتش الأسماء عن أسرارها
تجد «الأرصاء» حقًا ماثلاً
واسأل الأحرف عما في القرار
وهي في الماضي ضلال وصغار

صورة الحي في الأذن

مثل الحي في معالم سمع
من وراء الجدار والعين وَسْنَى
كل صوت يطيف بالسمع منه
دارج بعد دارج وحديث
ومغنٍ إذا تَغَنَّى رويدًا
وأقاويل لست تعلم منها
ومنادٍ بما يبيع وحيدٌ
وبشير الدجاج صاح فلَبَّا
ودواليب خلتها وهي تسعى
كالتني لا تزال للعين تظهرُ
معرض الحي في سجل مُصَوَّرُ
ثابت في «اسطوانة» تتكرَّرُ
يخفت الهمس فيه حينًا ويجهُرُ
قطَّع الصوت بالسلام وصفَّرُ
غير أصدائها التي لا تغيرُ
خالس الرفقة النيام وبِغَرُ
ه نظير غلا فصال فأُنذِرُ
خرجت في نعاسها تتعثُرُ

حُلَّةٌ بعد حُلَّةٍ تتراءى في صداها ومعشر بعد معشر
إنه منظر يفصله الـ سَمْعٌ ويا رَبَّ مسمع فيه منظرٌ

الدينار في طريقه المرسوم

لما بَدَا الدينار من باب الخزانة في السماء
نادى الموكِّلُ ثَمَّ بالـ أرزاق أين ترى الثواء؟
قال: انطلق في الخافقيـ ن إلى فتى جَمَّ الشقاء
قد بات ممنوع الغذا ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه وَمَنِّه بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـُ و يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ نني أستطيب هنا البقاء
سيطول بحثي عنه في وادي الخمول ولا لقاء

* * *

قال الموكِّلُ ثَمَّ بالـ أرزاق حسبك من رياء
لن يَأْلَفَ المال الفقيد رَ ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ ض كما تشاء لمن تشاء
فاستقبل الدينارُ وجـ هته وهَمَّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعـ لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحـ م كالطريق على اهتداء

المَصْرِف «البنك»

شُبْرَان من ذاك البناء
بيني وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصى في الرجاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كلا! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت أماد السماء!؟

في سَكَّتِي أَبَدًا وما
من سكة أبدًا إليه، ولست ألُغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلم
واسأل: أهذا مصرفٌ ملئوا جوانبه دما!؟
تجد الصواب مجسما

فيه دم لا شك فيه
في كل طِرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتتر والسففيه
يجري هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
تغليه كالدم في العروق سرى وكالدم نتقيه
وسَل المُدَلَّس والنزيه!

سَلْنِي فلم أكن طالبا
ورقا هناك على الرفوف أنال منه جانبا

وأعد منه حاسبًا
إلا لأوراق أراها قارئًا أو كاتبًا
ولما تجيش به الخواطر حاضرًا أو غائبًا
ودع الحسود الغاضبًا

كَوَاءُ الثِيَابِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ

لا تَنَمْ لا تَنَمْ	إنهم ساهرون
سهرُوا في الظُّلَمِ	أو غفوا يحلمون
أنت فيهمُ حكم	وهمُ ينظرون
في غد يلبسون!	في غد يمرحون

كم إهاب صقيـل	يا له من أهـاب
وقَوَامِ نبـيل	في انتظار الثـياب
وحبيب جمـيل	يزدهي بالشـباب
كلهم يحلمون!	في غد يلبسون

أَسْلَمُوكَ الحُلَلَ	كالربيع الجـديد
في احمرار الخـجل	أو صفاء النهـود
تُشْتَهَى بالقُبـل	لا بمسِّ الحديد
يا لها من فنون	بهجة للعيون!

طُويت كالعـجين	فاطو فيها الجمال
لمسة باليمن	عطفة بالشمال

والعجيين التَّمِينِ في استواء «المثال»
فيه ماست غصون من جناها الجنون

* * *

زُدْ نصيب الحبيب من هوى وابتسام
بالكساء القشيب رفّاً حول القوام
لك فيهم نصيب غير كيّ الغرام
عند برح الشجون هُمُ هُمُ المكتوون

* * *

الضرام اتَّقَد في المكاوي الشداد
هل خبا أو برد أو علاه الرماد؟
ذاك يوم الأحد أين منك الرقاد؟!
إن قضيت الديون كل نار تهون

* * *

أنا مُصْغٍ إليك في الظلام الطويل
سامع من يدك كل ضرب ثقیل
ناظر موقديك منذ غاب الأصيل
بين غمض الجفون واطّراد السكون

* * *

يا أخوا الفن لا تدّعها بالثياب
وارقّ منها إلى ما احتوت من شباب
وجمالٍ حلا وحياة عجاب
وتفلسف على ما احتوت من رقون^٦

^٦ الترقين: التزيين، والرقون: الخضاب.

تَحَيَّ بَيْنَ الْأَلَى	خلفها يختفون
تلقهم يهمسون	وهم صامتون
والليالي تهون	والكرى والمنون

بابل الساعة الثامنة

في بعض الأحياء يمنع الشرطة نداء الباعة قبل الساعة الثامنة؛ فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة، اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع، كلُّ وما يبيع، وهي خليط لا تأتلف أصداءه ولا أشياءه، فهي بابل لأمرء!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور، وأن هذه المقابلات جميعاً لحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء:

كم بابل في الساعة الثامنة	تثور في حلتنا الساكنة!
خفية الأصداء لا تنجلي	ولم تكن عجماء أو واهنة
شَتَّى فإن أفردتها لم تكد	تبين منها لفظة بائنة
كأنما تصغي إلى راطن	يُتَغَتِّعُ الأحرف أو راطنة
فلفظة ينطقها دونها	عشرون في حلقومه قاطنة
واسم يليه اسم وما جَمَعَتْ	قرينة بينهما قارنة
إن بعدت عن سامع أو دنت	لم تُدْنِها أوصافها المائنة
البرتقال الحلو والفحم والـ	أطباق والريحانة الفاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والـ	أخشاب والزينة الزائنة
وأشربات العصر في حينها	مثلوجة إن شئت أو ساخنة
والناي والأرغن تتلوهما	ربابة كالهَرَّةِ الداجنة

وَمَنْ يُنَادِيهَا ويدعو بها	إليه في زوبعة زابنة ^٧
مخلوطة ممزوجة كلها	معجونة في لفظها عاجنة
في بابل الباعة تلك التي	نسمعها لا بابل الحائنة
يحبسها الشرطي حتى إذا	حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقها فانطلقت فجأة	على الحمى كالغارة الكامنة
تجدُّ أقصى الجد لكنها	في السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بي ضحوة	أو أرقتني خطرة رائنة
أيقظني من بابلي هذه	نفير حرب في القرى الآمنة

* * *

يا بعدها عن بابل في الدجى	أسمعها شادية لاحنة
أسمع عرس الفجر في دَوْحَة	ملتفة أغصانها شاجنة
وكل ذي سمع سليمانها	إن غردت أطيارها الواكنة
شَتَّى وفَحَوَى قولها واحدٌ	لكل أذن نحوها آذنة ^٨
بُشْرَى لنا بُشْرَى لآفاقنا	عادت إلينا شمسنا الظاعنة!

* * *

يا بابل البشرى أغيثي الكرى	من بابل الملعونة اللاعنة
هَبِيه أنت اليقظات التي	تُشِبهِ أحلام الدُّجَى الحاضنة
لا تُسلميه لوغى بابل	مغبونة في سعيها غابنة
من صرخة الحاجة أصدائها	ومن لجاج المهنة الماهنة
لا بائعًا صانت ولا شاريًا	كانت له عن حاجة ضائنة

^٧ دافعة.

^٨ أذن له وإليه: استمع.

* * *

يا بابل البُشْرَى اسْلَمِي واغنمي وجنّبينا الذلة الشائنة
وِدِدْتُ لَوْ أَنَّ بَنِي آدَمَ تعلموا حكمتك الباطنة
ما احتجْتُ قَطْ إِلَى كَاهِنٍ يوحى بمعناها ولا كاهنة

وليمة المأتم

أعدوا الموائد واستقبلوا ولم يرَ صاحبه المنزلُ
فأين عريس به يحفلون وأين عريس بهم يحفل؟
طواه الرِّغَامُ وغطى عليه صفيح المَفَاوِزِ والجنْدُلُ
وما حفل البيت من يأكلو ن لولا فَمَ بات لا يأكلُ

* * *

ومن قبل ذاك أعدوا الطعام وفي النفس هَمٌّ لها مثقلُ
إذا ما تتاجوا فصوت خفيض وإن عملوا فَمَ مقفلُ
ولا من يُغْنِي كما يفعلون إذا أولم القوم أو أفضّلوا
وما حمد الطفل تلك الوفود إذا أبطأ القوم أو عَجَّلُوا
فما منهم مازحٌ باسمُ وما منهم لاعب مقبلُ
ولا للمضيفين زاد هنا ك إلا وأطْيَبُهُ حَنْظَلُ
وما بين ذلك إلا النَشِيج ودمع على خِلْسَة مرسلُ
ثقل على الحزن أكل الطعام ومن يَشْتَهِي أكله أثقلُ
فيا أيها الناس! لا تُولِمُوا على مَيِّتٍ واحزنوا واعقلوا!
فليست مجاملة الراحلين إذا انقطع الزاد أن تأكلوا

عند تمثال

وقف الطفل وقفة التفكير
سائلاً أمه وقد هالَه ما
فأجابته ذاك طفلٌ كبير
قد أتوه بهذه اللعبة الكبـ
أفترضى مثاله؟ قال لا يا
لا أرى فيه مَسَحَةً من حمال

عند تمثال عالم مشهور
هال من ذلك الجماد الجهير
أنقن الدرس في كبار الأمور
رى تُسَلِّيه في ظلام القبور
أم إني أراه غير جدير
تتحلّى أو نفحة من سرور

سَلْع الدكاكين في يوم البطالة

بشيء من التخيل يستطيع الإنسان أن يسمع سلع الدكاكين في أيام البطالة تشكو الحبس والركود، وتود أن تبرز لتُعرض على الناس وتُباع، ولا تُفَضِّل الراحة والأمان على ما يصيبها من البلى والتمزيق بعد انتقالها إلى الشراة، كما أن الجنين في عالم الغيب لا يفضل أمان الغيب على مضانك الحياة وآملها، ولذلك تظهر الأجنة ألوفاً بعد ألوفاً إلى هذا المعتك الأليم:

مُغْلَقَاتٍ مُّحَكَّمَاتٍ
كُلُّ أَبْوَابِ الدَّكَائِينِ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ
تَرْكُوهَا
أَهْمَمُوا
يَوْمَ عِيدِ عِيدِهِ
وَمَضُوا فِي الْخُلُوتِ

* * *

«الـبـدار!»
«ما لنا اليوم قرار!»

أي صوت ذاك يدعو النـا
س من خلف الجدار
أدركــــــــــــــــوهــــــــــــــــا
أطــــــــــــــــالــــــــــــــــقــــــــــــــــوهــــــــــــــــا
ذاك صوت السلع المحبو
س في الظلمة ثار
ففي الــــــــــــــــرفــــــــــــــــوف
تحت أطباق السقوف
الممدى طال بنا
بين قعود ووقوف
أطــــــــــــــــالــــــــــــــــقــــــــــــــــونــــــــــــــــا
أرــــــــــــــــســــــــــــــــالــــــــــــــــونــــــــــــــــا
بين أشتات من الشارين
نسعى ونطوف

سوف نُبلى
يوم أن نُبذل بذلا
أي نعم، لم نَسُهْ عن ذاك ولم نجهله جهلا
غــــــــــــــــيــــــــــــــــرــــــــــــــــاً
قــــــــــــــــد وددنــــــــــــــــا
أن نرى العيش وإن لم يكُ ورْدُ العيش سهلا

كالجــــــــــــــــزــــــــــــــــين
وهو في الغيب سجين
إن تحذره أذى الد
نيا وآفات السنين

قَالَ هــيـا
حيث أحيا
ذاك خير من أمان الغيب والغيب أمين

أطال قونا
وإلى الدنيا خذونا
حيث نلقي الأكلين الشاربين اللابسينا
ذاك خـيـر
وهو ضـيـر
من رفوف مظلمات يوم عيد تحتوينا

المنازل في الصيف والشتاء

يا حُسْنَ ذاك المنزلِ	كالضاحك المتهلِّلِ
يُروي الظلام بمنهلِ	من نوره كالجدولِ
مُتَكَشِّفًا عن سره	عريان للمتطفِّلِ
الصيف علَّمه الطلا	قة كالشباب المُقْبِلِ
فكأنه بعض الفضا	ء الواسع المسترسلِ
لم ينفصل عنه ولم	يُحْجَب بِسِتْرِ مُسْبِلِ
مُوفٍ على آفاقه	وعلى الكواكب من علِ
ساري الطريق أمامه	عرضًا، كرب المنزلِ
والمستقر به شبيب	سه العابر المُتَنَقِّلِ
هذا وذاك كلاهما	في ساحة لم تُقْفَلِ

عَرَّجْ عليه هناك في ليل الشتاء الأليِّلِ

يلقى المطيف كأنه	وجه المُشِيح المُجْفِل
حَذَرًا على أسرارهِ	مُتَكَتِّمًا لا ينجلي
هَرِمًا يخاف ويتقي	طَيْشَ الشَّبابِ الأوَّلِ
صد الفضاء كأنه	من دونه في معقلِ
وجفا المنازل حوله	فكأنه في معزلِ

* * *

خَفَّ الربيع به وأث	قله الشتاء بجندلِ
وأدار حوليه نَطًا	قا من قضاء مُنْزَلِ
فكأن عابره إذا	أَمسى طَرِيدَةً هيكلِ
متفلتًا من طارديـ	ه مُحَاذِرًا ممن يلي

* * *

ما في الشتاء رفاهة	للعابر المُتَأَمِّلِ
إلا تَخْيِيلُ موئِلِ	خلف الشعاع المرسلِ
فيه سعادة مُسْتَهَا	م أو هُناة مصطلي

الطريق في الصباح

بدأت دولة الطريق	وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المُفِيق	عالم الليل والسكوت

* * *

حيثُ يَممتُ مسرَعُ	يتلقاه مسرعون
ما لهم؟ أين أزمعوا؟	ويحهم ممَّ يهربون؟

* * *

كلما غاب مُجْفِل	طلع اثنان في هجوم
------------------	-------------------

ذاك ركب مضلل حائر حيثما يحوم

حائر حيرة الألى سُحروا ثم أُطلقوا
وضح الصبح وانجلي فهو بالسحر أخلق

لا أرى فرد ساحر فيك يا صبح بل ألوف
كم أسير وآسر والرقي بينهم صنوف^٩

ذلك الطفل ما عناه؟ جدول الضرب في كتاب!
ذلك الشيخ ما مناه؟ لقمة كلها عذاب

والفتى أين قبلة نحوها يرسل العنان؟
غاية الأمر قبلة بعدها يمسح الدهان

خذهم أيها الطريق في غداة من الصباح
لا تضلن بالرفيق إن دنت ساعة الرواح

إن دنت ساعة السبات ويك! لا تخطئ الوكور
كم وكور مناظرات للبيوت اسمها القبور!

^٩ جمع رقية، وهي طلسم السحر وما يُستعان به من القوى الخفية.

معرض البيت

هو بيت قد حواهم مسكنا ونأوا فيه كنأى الشهب
لو عرضنا صور الدنيا هنا لرأينا كل معنى عجب

فيه طفل وفتى غض الإهاب عند كهل، عند شيخ جاثم
فيه غيد لم يجاوزن الشباب وفتاة في الشباب الباسم
ذلك البيت على ضيق الجنب معرض الدنيا، وفحوى العالم
كل ما هم ابن أنثى أو عنى بنت أنثى — ها هنا لم يعزب
كل حي فيه دنيا بل دنى جمعت أشتاتها في موكب

موكب لم يرتحل من موطن وإليه وحده شد الرحال
فيه دنيا صنعت من لبن عند دنيا من خزانات ومال
عند دنيا صنعت من أعين وقلوب، ولهيب، وجمال
عند دنيا لم نجدها بيننا لم نجدها من وراء الكتب
عرضتها الدار أشتاتاً لنا فالتقت موصولة في سبب

رب دنيا صنعوها لعبا جاورت دنيا دواء وسقم
وصبى جد أو طفل حبا جاورا نضو مشيب وهرم
ورفيقين هناك اصطحبا وهما قطباً خصال وشيم
فرجة فيها لمن شاء الغنى غير ما عان ولا مغترب
ما نأى في الدهر شيء أو دنا بعد هذا المورد المقترب

طالب المسرح من خلف الحجاب أنت في «المسرح» صبغاً ومساء

يخلق البيت من الدنيا العجاف صورًا شتى وأنماطًا ولاء^{١٠}
وترى فيه وإن ضاق الجنب أوجهًا مختلفات تتراءى
أين وجه يملأ العين سنَى من وجوه كانطباق الغيَّهَبِ
فتأمل ها هنا أو ها هنا ترع ما شئت بمرعى مُخَصَّبِ

* * *

أي مرأى لو تجلى للعيون في ضياء كضياء السيمياء!
كلما باح جدود وبنون برؤاه، ورجال ونساء
لم يكن قط وهيئات يكون منظر أجدر منه بالضياء
إن تَأَبَّ أن تراه بيِّنًا فالتَّمسه «بالخيال» المغرب
إنما الأعين كانت أعيَّنًا بسَنَى من نور ذاك الكوكب

بُعَيْدُ الْغُرُوبِ

ضجيج الصغار إذا ما خلت نواحي الديار من الوالدِ
صياح العصافير في دَوْحَةٍ خَلَتْ من عُقَابٍ ومن صائدِ
وأطربُ من غابة في الصبا ح من مُنْشِدٍ ثَمَّ أو ناشِدِ
تَنَادِي الصَّغَارِ بُعَيْدُ الْغُرُوبِ ب من كل مجتمع حاشِدِ
إلى لحظة ثم تلقى الجمو ع ما بين نَعْسَانٍ أو راقِدِ

^{١٠} متواليّة.

فتنة الصور المتحركة

إلى أين تَهَرَّعَ هَذي الفتاة
سِرَاعًا إلى الصور الناطقا
لقد أصبحوا صورًا مثلها
هم الناس لم يبقَ إلا صدى
وهذا الفتى أين يبغي المفر؟
ت تحكي الغرام وتحكي الخطر
فلا عجب يعشقون الصور
تَفَشَّى وإلا طَلَاءَ ظهر

على سفح الهرم

طلع البدر على سفح الهرم
لا تراه حينما تلمحه
لو تَفَشَّى النور أو رَقَّ الدجى
شبح ذلك أم ظل جثم
من بعيد غير ظل وقدم
لتولَّى خشية، أو لانهدم

متسول

هم الناس ضيفٌ لهذي الحيا
ففي كل بيت له لقمة
وفي كل أرض له معقل
وذلك ضيف لهم مبرم
وفي كل جيب له درهم
ومَنْ لا يخف فهو مستعصم

* * *

ذليل مهين بما يَغْنَم
وليس أذل من المصلحيـ
وليس بأهونَ من دعوة
ذليل مهين بما يُحْرَم
ن إذا أصلحوا الناس أو علموا
يضيق بها السذج النُوم

* * *

ألا أيها السائل المعدم
قسمت فحسبك ما تقسم

حقرت الحياة كما حقرتك	فما منكما أحد يظلم
تحاسبتما فتساوى الحساب	فلا من يُغالط أو يندم
وما هكذا النابغ العبقري	ولا هكذا الآثم المجرم

أناشيد وأغاني

النشيد القومي

قد رفعنا العلم للعلّاء والفِدَى
في ضمان السماء
حي أرض الهرم حي مهد الهدى
حي أم البقاء

كم بَنَتْ للبنين مصر أم البُنَاة
من عريق الجدود
أمة الخالدين مَنْ يَهْبِهَا الحياة
وهبته الخلود

تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعب مصر مقيم
قد حوى ما يشاء من زمان مجيد
ومكان كريم
نيلنا خير ماء كوثر من نعيم

ديوان عابر سبيل

فاض بالسلسبيل
في العروق الدماء شعلة من حميم
للعدو الدخيل

إن يكن أمسنا في حمى الأولين
فلننْعِش للغد
لا ترى شمسنا غير فتح مبين
ما يدم يزدد

فارخصي يا نفوس كل غالٍ يهون
كل شيء حسن
إن رفعنا الرءوس فليكن ما يكون
ولتعش يا وطن

شكر المحتفلين بالنشيد القومي

أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في الاحتفال الذي أُقِيمَ تكريمًا للنشيد القومي:

ومن السلاف تحية الكرم	بالنَّظْمِ أَحْمَدُ مُكْرَمِي نظمي
قومي، وقد غَنَّى به قومي	هذا النشيد، ففيم يشكرني
عظمى، فقد وفيتُ سهمي	أن تقبلوه، وتلك مفخرة
قَسَمًا، فحسبي ذاك في قسم	قد كان لي، غدا لكم
جادت عليه بمغنم ضخم	من تقبل الأوطان قُرْبَتَه

أبناء مصر وأمكم أُمِّي يوم الفخار، وهُمُكُمْ هُمِّي

أناشيد وأغاني

أني نظمت لها الدعاء، وبني	منها شكاة الروح والجسم
شوق إلى حريتي طلق	ويدان بعد مهيضتا عظم ^١
لي في السماء هوى ويمسكني	غل يصافحني على رغم
فلئن رسمت لمصر طالعتها	فلقد وصلت بنجمها نجمي
ولئن وصفت لها سريرتها	فمن الضمير مصادر العلم

* * *

أبناء مصر على هدايتكم	إن النجاح لكم من الختم
إن تهتفوا بنشيدكم كلمًا	فدعوا القلوب تُجيب بالعزم
عُقبى الطريق لمن إذا بدءوا	عرفوا لأية غاية ترمي
هذا الورود دنا فلا تهنوا	إني أراه على مدى سهم

نشيد، على مُقْتَضَى الحال

كانت وزارة المعارف قد وَلَعَتْ «بمكايدة» صاحب هذا الديوان على طريققتها المعهودة في ذلك الحين، فأعلنت عن مسابقة للأناشيد القومية، وهي تعلم أن صاحب الديوان لن يدخل فيها، فكان جوابه أن عرض النشيد التالي ليستحق به الجائزة عندها:

إلى الوراء إلى الوراء إلى الوراء
إلى الوراء كل يو م في الصباح والمساء
إلى كرومر الحنون
ومكمهون، ولمبسون
وسمبسون،^٢ وكل جون

^١ نظم النشيد وصاحبه مصاب في كلتا يديه في حادث اصطدام، والأمة المصرية محكومة حكمًا لا ترضاه.

^٢ كرومر ومكماهون ولبسون معتمدون بريطانيون في مصر، وسمبسون موظف كبير في وزارة المعارف العمومية.

إلى الـوراء بالـقلوب إلى الـوراء بالـعيون
إلى الـوراء إلى الـوراء إلى الـوراء

وفي ركاب المستشار
يمشي الكبار والصغار
والزارعون والتجار
والشاخصون في انتظار على اليمين واليسار
إلى الـوراء إلى الـوراء إلى الـوراء

لهم إذا شاءوا العطاء
وما لنا منهم جزاء
إن يطلبوا منا الرداء
نُعْطِ الطعام والشراب والكساء والغطاء
إلى الـوراء إلى الـوراء إلى الـوراء

إلى الـوراء لا الأمام
إلى الـوراء باحترام
على الدوام، وفي الختام
وكل يوم بانتظام وكل عام، والسلام
إلى الـوراء إلى الـوراء إلى الـوراء

أغاني

هذه الأغاني نُظِمَتْ لَتُنْشَدَها الأَنَسَة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب
المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تُنْشَدُ في زَوْرَق يجري على النيل عند

أناشيد وأغاني

القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تُطلُّ على الشاطئ وفي الزورق المحبان
يتناجيان، والحبوبة تنشد:

في الهَوَى قلبي زَوْرُقٌ يجري
أين يمضي بي نهره الخمري
ليتني أدري

لَيْتَهُ يجري يا أبا الأنهار!
مثلما تسري في حمى الأقدارِ
حورك الأزهار

حورك الصفصاف مسبل الشعرِ
ناعس الأطياف سابع الفكرِ
في الهوى السحري

يا رياض النيل عَلَّمي قلبي
فرحة التهليل عشت للحبِّ
يا مُنَى الصَّبِّ

قال لي قلبي والهَوَى يرعاهُ
هو في قُرْبِي ما الذي أخشاهُ
عندما ألقاهُ

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تُنشد على شاطئ النيل بعد الغروب:

يا حبيبي أنت ربي ليس في الماء نظيره
يا حبيبي أنت ظل ليس للروض عبيره

* * *

يا حبيبي أنت بدر أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحب سب ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء! كل ما شئت يكون
قل لهذا الليل يبقى ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجى مُرْهَف السمع إلينا
كيف يعصي لك أمراً؟! والهوى طوع يدينا

الزوجة المهجورة يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشد الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها، ولم يرض أن يُلَازِمها في المنزل؛ لِيُشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم:

مولدي يوم شقائي مات في المهد رجائي
ليس في قلبي عزاء أين في الدنيا عزائي!
أحسب البدر ظلاماً وهو مصباح السماء
لَاخ في الأفق وحيداً ومن الوحدة دائي
كم أَرَانِي النور حزناً كان في طي الخفاء

إِغْوَاء

وهذه الأغنية تُنشدُها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها؛ لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك:

هل دَرَى من أحبه	أين في الحب مطمعي؟
هل معي الآن قلبه	مثلما سمعه معي؟!

* * *

هل أراه بناظري	أم أرى الطيف الرجاء
ربما بات زائري	وهو في البعد كالسما
ليته يكشف الضمير!	ليتني بالهوى أبوح!
فاكشفْ الروض يا عبير	إن عطر الهوى يَفوح
شِرْعَةَ القلب شرعتي	ما احتياجي إلى شفي
إن تَسَلَّنِي فَحُجَّتِي	في يدي زهرة الربيع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو! غِبَّتْ عني	وحيرتْ لوعتي خطاك
تائهة أنت في طريقي	هداك نور الهوى هداك

* * *

أبطأت يا ساعة التمني	وموعد الملتقى قريب
هل يُبطئ البين لو سعى	لي كما سعى موعد الحبيب

* * *

أصبحتُ في لهفتي عليه	أنتظر الليل بالنها
طال انتظاري له فماذا	في الغيب يا ليل بانتظاري؟!

قوميات

يوم الجهاد ذكرى ١٣ نوفمبر في سنة ١٩٣٥

أجل هو يوم الفدى والذمم	ويوم الذين دعوا أمة
ويوم له غده المُرْتَجَى	هنا حرم في جوار الزمان
هنا فليقم عهده من أقام	ويستقبل الهول من راضه
تعز الصفوف بنبذ الجبان	وتُحمى الحقوق بدفع الضعيف
فليست تُصان الحقوق التي	وهيهات تعلو لنا شوكة
إذا كرمت أمة لم تكن	إذا استرحمت أمة خُصِمَها

ويوم الجهاد ويوم القَسَمِ
ونادوا بدعوتها في الأمم
ويوم له سره في القِدَمِ
فحيوا الزمان وحيوا الحرم
ويعزمُ على أمره من عزم
ويرتد من خافه فانهمزم
كعزتها بشجاع هجم
كدفعك عن حوضها من ظلم
حمى جانبها ضعاف الهمم
بشكوى الذليل ونجوى السأم
كرامتها من هبات الكرم
فلا رحمتها عوادي النقم

أفيقوا أفيقوا حماة الديار!	حماة الديار ببأس الرمم!
أتسمعكم «لندن» يا تُرى	على النَّأي أم لم تزل في صَمَم؟!
أيشفق هاجركم يا ترى	هنالك أم قد جفا واعتصم

أُطْمَعُكُمْ مِنْهُ ذَاكَ الدَّلَالِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَوْتُكُمْ بِالْغَا
عَلَيْكُمْ بِقِيَارَةِ حُلُوةٍ
وَبِثْوَا لَهُ لَوْعَةٌ أَوْ ضَنْى
فَقَدْ يَنْثَنِي فِي غَدٍ رَاضِيًا
وَقَدْ يَنْثَنِي طَيْفُهُ فِي الْكَرَى
وَيَا وَيْلَكُمْ بَعْدَهَا إِنْ جَفَا
فَكَيْفَ تُطِيقُونَ مِنْهُ الْجَلَاءَ

أَمْ حَسَمَ الشُّكُّ فِيمَا حَسَمَ
إِلَيْهِ فَمَا قَوْلُكُمْ فِي النِّعَمِ؟!
وَنَايَ وَعُودَ وَزِيْزٍ وَبِمِ
وَشَقْوَةَ حَالٍ وَنَجْوَى نَدَمِ
إِذَا صُدَّ فِي أَمْسِهِ أَوْ صَدَمَ
وَطَابَ الْكَرَى عِنْدَكُمْ وَالظَّلْمُ
وَعَافَ الْمَقَامَ بِأَرْضِ الْهَرَمِ
إِذَا مَا انْجَلَى بَعْدَهَا وَانْصَرَمَ!

أَفِيقُوا أَفِيقُوا دُعَاةَ الدِّيَارِ
وَأَوْصُوا الرِّفَاقَ بِصِمْتٍ طَوِيلٍ
وَقُولُوا لَهُمْ مِثْلَنَا فَاصْنَعُوا
وَمَنْ جَدَّ مِنْ أَمْرِهِ بَيْنَكُمْ
فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي شَرْعِنَا
وَإِنَّ الْخِيَانَةَ فَتَحَ الْعَيُونَ
كَفَى لَعِبًا أَيُّهَا الْهَازِلُونَ!
لَقَدْ أَسَأَمْتُكُمْ كِبَارُ الْأُمُورِ
وَقَدْ أَسَأَمْتُنَا رِعَاةَ تُسَاقُ
أَأَصْنَامَ بَاغِيْنَ تَبْغُونَهَا
أَأَطْلُبُ حُرِيَّةً لِلْعَبِيدِ
فَمَاذَا أَقُولُ لِهَذَا الْجَبِينِ؟!
وَمَاذَا أَقُولُ لِهَذَا الْيَمِينِ
مَعَازِ الْفِتْوَةِ إِنِّي لَكُمْ
هُوَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَلْبِي مَعِي
بَنِي مِصْرَ طَوْفُوا بِهَذَا الْحَرَمِ
يَسِرْ وَيُؤْلَمْ تَذَكَارُهُ
بَدَأْنَا بِسَعْدٍ وَغَابَ الْإِمَامُ

دُعَاةَ الدِّيَارِ وَفِيكُمْ بَكَمُ
وَصَبِرَ جَمِيلٍ وَهَزَلَ عَمَمُ
إِذَا نَابَكُمْ نَائِبٌ أَوْ دَهَمُ
فَذَاكَ هُوَ الْخَائِنُ الْمَتَّهِمُ
وَلَا تُمْ تُغْشَى وَلَهُوَ يُؤْمُ
وَفَتَحَ الْعَيُونَ عَدُوَ النِّعَمِ
فَقَدْ مَلَأَ الْخُطْبَ مِصْرًا وَطَمَ
لَقَدْ أَسَأَمْتُنَا صِغَارُ اللَّمَمِ
فَأَيْنَ الرِّعَاةُ وَأَيْنَ الْغَنَمِ؟
وَأَنْتُمْ تَذَلُّونَ ذُلَّ الْخِدْمِ؟!
وَأَلْقِي بِحُرِّيَّتِي عَنْ رَعَمِ؟!
وَمَا عَابَهُ عَائِبٌ أَوْ وَصَمَ
وَإِنِّي بِهَا قَدْ صَنَعْتُ الصَّنَمِ؟!
عَلَى رِصْدٍ سَاهِرٍ لَمْ يَنْمِ
وَمَا دَامَ فِي الْيَدِ هَذَا الْقَلَمِ
بِیَوْمِ الْفَخَارِ وَیَوْمِ الْأَلَمِ
وَفِي الْغَدِ مِنْ حَالَتِيهِ الْحَكَمِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَحْسَنْ الْمَخْتَمَ

إذا نحن سرنا على نهجنا
حذارِ القعود مع القاعدين
فِدَى للبلاد وأعوانها
ومن هونوا الأمر حتى غدا
وحتى غدت كل تصفيقة
وما المجد صفقا ولا صفقة
فلا تركبوا السهل واستصعبوا
تضييع البلاد به سهلة
فلا ضير في أن تزل القدم
وسر فالطريق سوي أم
على النصر من خانها وانهزم
أجير الهتاف دعي العظم
تبوؤ في المجد أعلى القمم
ولكنه معقل يقتحم
فللسهل أصعب هول نجم
فمن رامها عاديا لم يلم

بني مصر! صونوا لها حقها
لكم مصر لا لدعي دعا
لكم مصر حيث يقر الثرى
وحيث جرى النيل من أرضها
وحيث تلاحق موج البحار
وحيث تلاً ضوء الشمس
فلا تتركوا ذرة من ثرى
ولا لمحة من شعاع سرى
لكم وحدكم ما ضننتم به
فما تبذلون فذاك الكرم
على العهد فليقترب من رعى
وهذي الكنانة من رامها
وأنتم لها سيفها المنتضى
فقولوا يرد لها مجدها
كبار النفوس كبار الشيم
ولا لذوي سطوة أو غشم
وحيث يرف عليها العلم
وحيث نما شعبها وازدهم
على جانبي شطها والتطم
وأسفر عن صحوها وابتسم
لباغ ولا قطرة من خضم
ولا نفحة من نسيم نسيم
وما يُستباح وما يُغتَنم
وما تمنعون فنار ودم
نمأً وفليبتعد من وجم
بسوء وهى ظهره وانقصم
وأنتم لها عزمها المعتمز
يرد وما تم بالعزم تم

عيد بنك مصر

أُلْقِيَتْ فِي الاحتفال بِمُضَيِّ خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر:

وَأَوْحِ التَّهَانِيَّ لِلْمَنْشِدِ	بَلَّغْتَ الشَّبَابَ فَعِشْ وَارْزُدِ
فِيَا لَكَ مِنْ مُعْجَزِ مُفْرِدِ!	نَمَا بِكَ جَدُّكَ فِي الْمَعْجَزَاتِ
وَفِي الْمَجْدِ كَالْهَرَمِ الْمَخْلُدِ؟	أَفِي السَّنِ كَالْيَافَعِ الْمُرْتَجَى
نَظِيرِكَ يَا هَرَمَ الْعَسْجِدِ	وَمَا هَرَمَ الصَّخْرِ فِي مَجْدِهِ
تَقَامُ كِبْنِيَّةٌ مُسْتَعْبِدِ	وَمَا بَنِيَّةٌ حَرَّةٌ فِي الرِّضَى
بِنَاءٍ عَلَى سُنَّةِ الْمَوْعِدِ	بَنُو مِصْرَ! فِي كُلِّ عَهْدٍ لَهُمْ
وَحِينًا مَصَارِفُ كَالْمَعْبِدِ	فَحِينًا مَعَابِدُ فَوْقَ الذُّرَى
وَنَسْبِقُ فِي شَوْطِهِ الْأَبْعَدِ	بِهَذَا وَهَذَا نَجَارِي الزَّمَانَ
وَنَرْفَعُ شَأْوِيَهُمَا فِي الْغَدِ	وَنَدْرِكُ فِي يَوْمِنَا أَمْسَنَا

بِنَاءٌ بِقَبْلَتِهِ نَقْتَدِي	أَجَلَ هُوَ أَشْبَهَ بِالْمَعْبِدِ
وَعِزًّا فَذَلِكَ الْمَهْتَدِي	وَمَنْ كَانَ يَنْشُدُ حَرِيَّةً
سِوَى الْبِرِّ وَالْجِدِّ وَالسُّؤْدِ	وَمَا يَبْتَغِي الدِّينَ مِنْ مُؤْمِنٍ
بِنَاءِ الْعَقِيدَةِ لَا الْجَامِدِ	وَإِنِّي لِأَحْسِبُ ذَاكَ الْبِنَاءَ
لِمِصْرٍ وَلِلْحَقِّ فِي الْمَقْصِدِ	عَقِيدَةً دَاعِينَ قَدْ أَخْلَصُوا
عَلَيْهَا بِضَائِمٍ وَلَا تَعْتَدِي	يُرِيدُونَهَا حَيْثُ لَا يُعْتَدَى

كَأَنَّ غِنَاهُ غِنَى فِي يَدِي	أَرَاهُ فَأُزْهِى بِهِ عِزَّةً
لَكَنْزٍ «عَلَى ذِمَّتِي» مَرْصَدِ	وَأَحْسِبُ أَنْفَالَهُ حَسْبَتِي
فَلِي أَنْ أَقُولَ: نَعَمْ مُورِدِي	إِذَا قِيلَ: مُورِدُ أَبْنَاءِ مِصْرٍ
سِوَى ثَرَوَةِ الْوَائِلِ الْمُفْتَدِي	وَمَا ثَرَوَةُ الْمَوَائِلِ الْمُفْتَدَى
مَهِينٍ فَمَا أَنَا بِالسَّيِّدِ	إِذَا أَنَا سُدَّتْ وَلِي مَوْطِنُ

ترنم كما شئت واستطرد
وقل ما بدا لك فيما مضى
تربى الوليد وأمسى بنوه
أفي أسرة الشيخ من عمره
أفي الخمس والعشر يطوى المدى
وتملأ آثاره الخافقين
سل الطير إن رامها فاتها
سل الحوت بين شعاب البحار
سل الشرق عمن قضى حجه
وسل قطن مصر وسل ثوتها
وما لك لا تسأل المستغيث؟!
وما لك لا تسأل القارئين!
وما لك لا تسأل الفن! عن
وما لك لا تسأل الطيف! في
تمثله حُلماً ناطقاً
كذاك يبارك في الصالحا
وخير النجاح نجاح به
نصيب الغنيمة يغنى بها

وهنى كما شئت بالمولد
وفي مقبل بعده مسعد
وأحفاده زينة المعهد
عددناه كاليافع الأمرد!
ويفتح كل حمى موصد
أنى يُنادَ به يوجد
سل الريح إن قادها تنقد
إن جاءها صائداً يُصطد
سل الغرب عن رائح مغتد
عن الغازل الناسج المرتدي
عن السامع المبصر المنجد
عن الطابع الناشر الأجود
صروح حسان وروض ند
شباك من الظل بالمرصد
على الستر من يبغى يشهد
ت من عمل الصالح الأيد
نصيبان للقوم ملء اليد
وحسن الثناء على المحتد

فيا قائمين على (حصن مصر)
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصن
ومن قال يا أمتي وفري
هنيئاً لكم قادة زادة
هنيئاً لكم (حربكم) إنه
لكم راية النصر مرفوعة

سعدتم برضوانها الأسعد
نجا بالعتاد وبالمُعْتَد
فقد قال يا أمتي جُنْدِي
يصولون صولة مُستشهد
من الحرب في وصفها الأحمد
على ساحة الزمن السرمد

تعود لكم كل أعيادكم بأجمل مما به تبتدي

في ذكرى سيد درويش في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

واحفظوا الذكر سرمدًا	اذكروا اليوم سيدًا
قد تغنّى فأسعدا	وتغنّوا بحمد مَنْ
يبتدئ مجده غدا	مَنْ يكن ذاك أمسه

كيف لا يملك الصدى؟	كان للصوت مالگًا
وسيحويه مُخلدًا	قد حوى السمع شاديًا
قيل تاريخه شدا	أخلدُ الناس مَنْ إذا
ن مصابيح للهدى	عاش للفن والفنو
جاوز الشمس مصعدا	مطلع النور نبعها
هات لا يعرف الردى	من يعيش في السماء هيد

قد تغنى فجدا	جدّدوا اليوم ذكر مَنْ
ة هتافًا مرددا	الذي صور الحيا
نون باللحن مَقصدا	علّم الناس كيف يع
ني في القول مسندا	ما ابتغوا قبله المعا
ني في الصوت مفردا	فابتغوا بعده المعا
ير لما تغردا	وانثنوا يعجبون للطَّ
غصن لما تأودا	ولهمس النسيم في الـ
والأزاهير والندى	والدراريّ والسنّا
من سرار وما بدا	سمعوا كل ما انطوى
والمقادير شُهدا	سمعوا الكون بيّنًا

فُتِحَ البابُ كُلُّهُ بعد أن كان مُوصِداً
ربما جاز فاتح في المدى ما تعمداً

إنما الفن في الشعو ب شباب له الفدى
فيض ما زاد من شعو ر وما هام مبعداً
سورة في عروقتها يتقي بأسها العدى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ولا ضجةٌ سدى
أو نديم لشارب بالطلاً قد تزودا
أو بكاء كما بكى سائل يطلب الجدى
رحم الله سيِّداً كان للفن سؤداً
ليت أحياءنا الألى سبقوا الموت موعداً
لحقوا وهو في الثرى منه روحاً تمرداً
وارتأوا مثل رأيه واقتدوا مثلاً اقتدى
أكبر الظن أنه جاور البحر فاهتدى^١
مُفلحٌ مَنْ يكون أسد تنازه البحر مزبداً

إنما اللحن ترجما ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو ناقل كلما قال أوجداً
واصف لن ترى له عاذلاً أو مُفنداً
هكذا كان سيِّدٌ صادق الوصف مُرشداً
ما سمعنا لشعب مص ر على ما تعدداً
واصفاً كان مثله مستجاباً مؤكداً
كل رهط أعاره لحنه أسلم اليدا

^١ كانت نشأة الموسيقار الكبير في ثغر الإسكندرية.

وَحِبَاهُ بِسِرِّهِ	ناطق الوسم منشدا
ليس من عامل ولا	عاطل راح أو غدا
أو سرِّيَّ مجلَّل	أو فقير تجردا
أو قويِّ مزمجر	أو ضعيف تنهدا
أو دعاء دعاه إلا	عرفناه جيِّدا
هكذا يسمع الخليل	ققة مَنْ يسمع الصدى

* * *

إنما اللحن منطلق	وحَّد الكون إذ حدا
فيه لا في اللغات يب	دو نظيماً منضدا
اسمعوا منه في الضما	ئر وحيًا مؤيدا
حيثما يقصر الكلا	م ويمشي مقيدا
وارفعوا الفن واحذروا	مهبطاً منه أوهدا
واجعلوا من تراث در	ويش للفن معبدا
إنه مَهَّد الخُطى	فابلغوا أنتم المدى
رحم الله سيِّدا	كان في الفن سيِّدا

فاز سعد

نُظِمَتْ عندنا نقل رفات الزعيم الخالد سعد زغلول من ضريحه في صحراء الإمام إلى
ضريحه المقام إلى جوار بيت الأمة:

عرف النفي حياة ومماتا	وأصاب النصر روحًا ورُفَاتا
كلما أقصوه عن دار له	رَدَّه الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتًا وهو من	كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا	تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثمارًا للذي	غرس المجد ونمَّاه نباتا

* * *

كل أرض للمصلّي مسجد	غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذُّرَا	في جوار البيت أو سفح الإمام
أرض مصر حيث أمسيت بها	فبنو مصر حجيح وزحام
غير أن الذكر يبغي منسكًا	مثلما يبغيه حج واستلام
فألقَ في قبرك خُلْدًا كلما	مر عام تبعته ألف عام

* * *

جيرة الأحياء أولى بالذي	بعث الدنيا حياة لن تبديد
معشر الأحياء أنتم لكم	مدد من ذلك الميت مديد
مستعيدين رجاءً كلما	جزتموه وهو منكم مستعيد
إنه في كل جيل ذاكر	من بنيه أبد الدهر وليد
تلك يا سعد مغانيك فما	في سواها يسكن اللحد شهيد

* * *

اعبر القاهرة اليوم كما	كنت تلقاها جموعًا ونظامًا
ساعة في أرضها عابرة	بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا	تشبه الساعات بدءًا وختامًا
كل مَنْ شاهدها زِيدَ بها	من معانيك جلالًا ودوامًا
قل لهم أبلغ ما قلت لهم	أيها الواعظ صمّتًا وكلامًا

* * *

جردوا الأسياف من أغمادها	ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات في آفاقها	أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يُلاقى الخلد بالحزن ولا	يُكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى	بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا	فاز سعد وهو في القبر رماد

* * *

لَتَمَنَّوْا لو أَجَازوك الطَريقَ	الفَرَاعينَ الألى أَجَليتهم
سَعة وَهي من الأَسر مضيق	أَنت أَضفيتَ على أوطانهم
وَهو في نومته لا يَستَفيق	أَنت أيقَظتَ لهم تاريخهم
فَاستوى منه طَريف وعَريق	فَظلك اللاحق أَحياءَ فضلهم
أَبد الدهر عدو أو صديق	آية في الحق لا يَنسخها

* * *

رَمر إِحياء وعَزم ومُضاء	يا بني مَصر اجعلوا نَقلته
غَيرَ شَتَّى وما حال القِضاء	وانظَروه كيف حَالت دونه
أَخر الأَمر، وسعد في البَناء	المُنحَوّن تَنحَوْا جانِبًا
ليس للمجد من الخلد نِجاء	كل ذي حق سيعطى حقه
عَرَضُ فَاِنٍ وزورٌ ورياء	كل ما عارض سَعيًا باقِيًا

* * *

بِسفور غَالب بَعد حِجاب	تَرمز الشمس ^٢ إلى نَقلته
عن حُضور ناصع بَعد غِياب	صرَعت ليلين صَبحًا فرَوْتُ
وطوى ليل الغواشي والكِذاب	هو أيضًا قد طوى ليل الردى
أَثر يَنبئ عن يوم المآب	في السَماوات وفي الأرض له
عن ضحاه بَعد لأَيٍّ وغِلاب	أَثر الفجر إذا انجَاب لَنا

* * *

شيد الباني وما خط الزبور	دان يا سعد لك الذَكر بما
مَوعِد الذَكرى صُخور وسُطور	قَدَر نادى فَلَبَّته على

^٢ إشارة إلى كسوف الشمس صباح ذلك اليوم.

أنا بان لك في مُلك النهى منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
من أَسَانِيدك آساس له ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شَأوك فيه إنني بالذي شيدت منه لفخور

فتية الوادي بسعد فاقتدوا إن تخيرتم له خير وفاء
اذكروه بالذي يعمله منكم العامل في غير وناء
واذكروه بالذي امتاز به من مزاياه الأبيات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم بتمائيل حياة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم هو تخليد لذكرى العظماء

إلى متطوع مشروع القرش

نُظِمَتْ هذه القصيدة تشجيعاً للشبان الذين كانوا يطوفون بالطرقات والمنازل؛ لجمع
الاكتتابات بالقروش وتخصيص ما يجتمع منها لإحياء الصناعة الوطنية:

يا أَخذاً أشبه بالمانح بوركنت في مجهودك الصالح
تمد كفيك ولكن كما مُدت يمين المنقذ الناضح
وتعقد الصفقة لا تنطوي في عقدها إلا على رابح
فبازل القرش ومن ناله صنوان في وزن الندى الراجح

يا فتية القرش ورواده على سواء المنهج الواضح
خذوا هبات الجود حتى إذا فرغتم من فيضها الناقح
طوفوا على الدور ولا تتركوا باباً قد استعصى على فاتح
وحاصروا الراكب في ركه واسطوا على السانح والبارح
وراقبوا الجو ولا تتقوا غوصاً وراء الغائص السابح
وعلموا مَنْ ضن بالقرش أن يخجل من عدوانه الفاضح

فمن أبى قرشاً على أمة
أنتم رجال الغد فاسعوا له
وزودوا مصر بزاد الغنى
وأنبتوا مصرًا لكم حرة
نعم البنون الأذكىاء الألى
أرضاكم إذ كنتم صبية
فلم يزل حتى رجعت به
فذاك كالجاني وكالجارج
برأس مالٍ لغد ناجحٍ
والعزم من هذا الصبا الطامح
تغلو بها أحداثثة المادح
ردوا جميل الدرهم الفادح!
صحتم صياح الغاضب الجامح
رضى لهذا الوطن الصائح

بين عهدين

أُلْقِيَتْ في مؤتمر حافل أوائل سنة ١٩٢٥:

أحسنتم الصبر والعقبي لمن صبروا
تلك السنون التي ذقتم مرارتها
مرت وفي كل مصريٍّ لها أثرٌ
سيهدم الطَّوْدُ مَنْ يبغيه معتديًا
بناكم الله في أرض إذا رفعت
الدهر في غيرها هدام أبنية
كِئَانَةَ الله كم أوفت على خطر
وكم توالى على أبوابها أممٌ
كأن رمسيس حيٌّ في مدينته
نادى البشير فقولوا اليوم واثمروا
هذا جناها فطاب الغرس والثمرُ
إلا اليقين فما فيه لها أثرٌ
وليس يُهدم من أركانكم حجرٌ
صرحًا من المجد لم تعبت به الغيرُ
والدهر في شاطئها حارس حذرُ
ثم استقرت وزال الخوف والخطرُ
ومصر باقيةً والشمس والقمرُ
يرعى بَنِيه وهم من حوله زمُرُ

* * *

ها أنتم أنتمُ والشمل مجتمِعُ
أين القلاقل؟ بل أين المعازل؟ بل
لا الأمن طاش ولا أجناده حضروا!^٣
أين الزبانية الفتاكَةُ الشرُّ

^٣ كان أعداء الحرية يمنعون كل اجتماع بدعوى الخوف على الأمن العام.

وأين من أرسلوهم في محافلکم؟
خافوا على أمتهم لا أمن أمتهم
إذا الظلام حواهم في مساربهم
لا يرحم الله عهدًا كان آمنه
من كل باغ له في الشر ألف يد
ينعى على الشرف العالي مفاخره
قالوا «النظام!» وطافوا حوله نذرًا
بئس النظام الذي تعلو بقمته
تسللوا شيعًا في كل ناحية
ظلم ولؤم وإتلاف ومفسدة
الله في عون مصر من رذائلهم
لو أنصفوا كان سجنًا دار ندوتهم
نصّوا الشرائع فيها للعقاب بها
ما كان خارجها جان أضرّ على
قالوا: انتخاب! فقلنا: إي نعم صدقوا
هو انتخاب، أجل! بل تلك غربة
لا تدخلوها إذا جئتم بساحتها
فازوا بمال وقد فزتم بأنفسكم
عرفتم الخطة المثلى بتجربة
وفي التجارب من حق ومن عبر
آن الأوان لمصر أن تجدّ على
قويمة الخطو لا التيه الذي نصبوا
على الصراحة إن ودّت وإن نفرّت
هيهات تحجب عينيها براحتها
شعارها ذاك فليحمل نظائره

وأين ما خوفوا الدنيا وما زجروا؟
كذاك يخشى بغاة السوء من سهروا
فالنور في الليل ذنب ليس يُغتفر
حربًا على الأمن لا يُبقي ولا يذر
لو قُطعت كلها لم يُجزه القدر
وينثنى وهو بالآثام مفتخر
شاه النظام وشاهت تلکم النذر
نفاية في حضيض الذلّ ما ظهورا
كأنهم منسر في الأرض منتشر
وسطوة وقلوب كلها خور
كم أجمروا في نواحيها وكم فجروا
يحمى المهارب منها حارس عسر
وهم لكل عقاب زاجر وطر
بلاده من جُناة عندها حشروا
هو انتخاب لمن خانوا ومن غدروا
وهم هنالك في غربالها وضرو
إلا إذا غُسلت ألقا وتعتذرو
ربحتم أنتم العقبي وهم خسروا
وراء تجربة تمضي وتندثرو
فما لهم ما وعوا حقًا ولا اعتبروا
مناهج السعي لا زيغ ولا غر
يُثنى خطاها ولا الجب الذي حفروا
ويستوي بعد من ودّوا ومن نفروا
إذا اتقوا نظرة منها لما ستروا
من يبتغي ودها تنفعهم الشعر

يا فتية النيل هذا النيل مستمع ومصر ناظرة والشرق منتظر

صُونُوا لِمَصْرٍ تَرَأَى مِنْ أَوَائِلِهَا
وَوَفُّرُوا مِنْ قَوَاهَا كُلِّ مَا وَفَّرَتْ
وَعَلَّمُوا عِلْمَهَا مَنْ يَنْفَعُونَ بِهِ
وَيَسِّرُوا مِنْ صِنَاعَاتِ الْأَكْفِ لَهَا
أَمَانَةً تِلْكَ فِي أَعْنَاقِكُمْ عَظُمَتْ
فَبَارِكُوا شَعْبَكُمْ وَادْعُوا بِدَعْوَتِهِ
وَشُرُوءَ مِنْ ثَرَاهَا الْحُرُّ تَدَخَّرُ
مِنْ الضَّمَائِرِ فِي الْجُلَى وَمَا تَفَرُّ
سِيَانٍ فِي الْعِلْمِ ذُو مَالٍ وَمِفْتَخَرُ
وَمَنْ فَنُونَ بِهَا الْأَرْوَاحُ تَزْدَهَرُ
وَبِالْأَمَانَةِ فَلْيَعِظُمُ مَنْ اقْتَدَرُوا
وَاسْتَبْشَرُوا وَمُرُوا بِالْحَقِّ وَاتَّمَرُوا

دار العمال

أُلْقِيَتْ فِي دَارِ الْعَمَالِ عِنْدَ افْتِتَاحِهَا فِي صَيْفِ سَنَةِ ١٩٣٥:

حَيِّ «دَارِ الْعَمَالِ» بِالْإِقْبَالِ
وَانْتَظِرْ رَافِعِي الدَّعَائِمِ حَتَّى
رَفَعُوا أَمْسَ مَا عَلَا مِنْ صُرُوحٍ
وَلَهُمْ فِي غَدٍ مِنَ الْأَمْرِ قِسْطُ
أَيُّهَا الْعَامِلُونَ لَبَّيْكُمْ الْيَوْمَ
نَعَمْ جَيْشُ السَّلَامِ أَنْتُمْ إِذَا مَا
لَكُمْ الْعُدَّةُ الَّتِي مَا اسْتَطَاعَتْ
وَلَكُمْ أَذْرَعُ شِدَادٍ وَأَيِّدٍ
وَلَكُمْ فِي اتِّحَادِكُمْ رَأْسَ مَالٍ
وَلَكُمْ صِيْحَةُ يَهَابٍ صَدَاهَا
فَابْلُغُوا بِالْوَثَامِ وَالصَّبْرِ مَا لَا
لَا يَسْخَرُكُمْ الْمَسْخَرُ جَهْلًا
حُبِّدَا النَّاسَ يَعْكَفُونَ عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَتَرَقَّبَ لَهَا بُلُوغَ الْكَمَالِ
يَرْفَعُوا بَيْتَهُمْ عَزِيزَ الْمَثَالِ
وَلَهُمْ فِي غَدٍ صُرُوحٌ عَوَالِي
مَنْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِهِ لَا يُغَالِي
مَ وَلَبَّيْكُمْ غَدًا فِي الْمَجَالِ
جَرَّدَ الْبَغْيِ جَيْشُهُ لَاغْتِيَالِ
أُمَّةٌ قَدْ تَرَكَهَا فِي نِزَالِ
مَنْ حَدِيدٍ وَأَظْهَرَ مِنْ جِبَالِ
إِنْ فَقَدْتُمْ ذَخَائِرَ الْأَمْوَالِ
سَادَةٌ فِي نَفُوسِهِمْ كَالْمَوَالِي
يَبْلُغُ الْمَرْجِفُونَ بِالْأَهْوَالِ
وَانْبِذُوا كُلَّ عَاطِلٍ مَكْسَالِ
مَالٍ حَتَّى ذَوِي الْغِنَى وَالْمَلَالِ

لَا يَكُنْ مِنْ بَنِي الْكِنَانَةِ بَاغٍ
وَيَكِيلُ النَّضَارَ وَهُوَ دِمَاءُ
يَمْلَأُ النَّاسَ دُورَهُ وَهُوَ خَالٍ
جُمِعَتْ مِنْ مِصَارِعِ الْأَجَالِ

كيف ترعى عناية الله أرضاً
ينسج الخزّ والحريز ويمشي
ويشيد القصور وهو شريد
ويُدِرُّ الغنَى وما في يديه
يهب المترفين عمر فراغ
ذاك ظلم نُعيذُ بالله مصرًا

باء فيها المُجِدُّ بالإقلالِ؟
حافياً في الرقاع والأسمالِ
في زوايا الكهوف والأطلالِ
شُبْعَةُ الوالدين والأطفالِ
وهو باكي الأيام باكي الليالي
من أذاه في مقبل الأجيالِ

* * *

أيها المنقذون بِنْيَةِ مصر
أنتم الكف والذراع وأنتم
حظكم حظها من العلم والصحَّ
كلما نالها نصيب من الخيب
أعجب الناس عامل في بلاد
لا تقولوا العمال حسب وأنتم
إن مصرًا تنال من غاصبيها
وهي أرض للواغليين عليها
كل من في جوانب النيل عانٍ
كلهم غارس لآخر يجني
وإذا ما تفرقوا طبقات
وإذا قيل مُوسِر وفقير
حققوا الأمر ما قضية مصر
فاعملوا جهدكم لمصر جميعًا
ما لكم منصف ولا لبنيتها

من فتور ومن ضنى أو كلال
قوة في يمينها والشمال
ة والبأس والحجى والخصال
ر فأنتم لكم نصيب تالي
صاح فيها: ما للبلاد وما لي؟
في بلاد تموج بالعمال
أجر بخس وخدعة ومطال
سطوة أشعبية الإيغال
مستغلُّ الجهود والآمال
ثمر الماء والثَّرَى والرجال
جمعتهم جوامع الأغلال
فقصاراهما إلى استغلال
بعدُ إلا قضية العمال
واتبعوا خطة الهدى لا الضلال
منصف قبل يوم الاستقلال

تأملات

حيوات كثيرة لا حياة واحدة

أرى الحيوات والأيام شتَّى
أتحسب أنه شيء وحيد
فلا تخش التناقض في كلام
فإن الصدق مفترقاً لأوّلَى
وأنت الدهرَ في كون جديد
إذا سميته باسم وحيد؟
عن الدنيا ورأي في الوجود
من التلفيق في جمع الشهود

حكمة الجهل وجهل الحكمة

حين قال المعري:

وأعجب مني كيف أخطئ دائماً على أنني من أعرف الناس بالناس

كان من الحق ألا يعجب هذا العجب؛ لأن الكريم يُخدع كما قال العرب قديماً، والإنسان إنما ينخدع بالناس؛ لأنه كثير العطف لا لأنه قليل المعرفة، وإن أقل الناس معرفة ليتقوا الخداع إذا كان مع ذلك قليل العطف والشعور، فليس أسهل من أن يغلق المرء أبواب نفسه، ويحجب ما بينه وبين العالم إذا كانت نفسه مُغلقة بطبعها أو كان لها منفذ محدود.

والحوار الآتي حوار بين رجلين: أحدهما حريص يزعم أنه آثر الشُّح والأثنية لِسَعَةِ عقله، والآخر يحسب هذا الحرص فقرًا ويحسب اللجوء إليه ضرورة:

ألم أقل لك مهلاً	فالناس لؤم وشراً
لا تُولهم منك عطفًا	فهم من العطف صفرٌ
لو كنت تعلم علمي	لما أصابك ضرٌ
نعم نعم قلت هذا	إني بذاك مُقرٌ
وأنت عندي طفل	وأنت عندي غرٌ
وما لقولك وزن	ولا لنصحك شكرٌ
أنفقتَ عطفك قبلي	وذاك يا صاحٍ فقرٌ
كم حكمة هي جهل	وغفلة هي فخرٌ

حب الإنسانية

لا يكون حب الإنسان حبًّا عظيمًا إلا إذا فاض من طبع رَاخِر، وقلب رحب، ونفس واسعة الآفاق، أما الحب الذي منشؤه العجز عن النكاية وقلة الحيلة، فذلك حب ضرورة لا عظمة فيه:

قد جرب الناس فألفاهم	للْبُغْضِ أهلاً كلهم أجمعين
فضاق عن بغضائهم ذرعه	ولم يجد عزماً به يستعين
فارتد يهواهم ويحصى لهم	أعذارهم وهو كظيم حزين
فيا له حبًّا لمن رامه	أرخص من بغض العدو المبين
لو لم يكن في حبهم مكرهاً	لعاضهم منه بجرُّ الوتين

شكر اللّوّماء

جزاكم الله خيرًا	يا معشر اللّوّماء
عودتموني صبرًا	على ضروب المراء
وكننت أجفل منها	إجفال باغي النجاء
وكننت أحسبها من	عجائب الأشياء
فاليوم أعجب ممن	يقضي حقوق الوفاء
من يألف السم يُعصم	من لدغة الرقطاء

مسألة ذوق!

لا تُصلح الأرض يا صديقي	إن كنت من عاشقي الجمال
فكل ما كان من صلاح	فيها نشوز أو اختلال
دعها على حالها تدعها	في خير حال أو شر حال
مجموعة الشمل في طراز	منسوقة الشكل في مثال
وإن أردت الصواب فامسح	ما كان فيها من اعتدال

بعض التفاؤل

من المتفائلين مَنْ يضحك للحياة كما يصفق المرء للرواية السخيفة؛ ليقنع نفسه أنه لم يضيع الليلة عبثًا، ولم يؤد أجرة الدخول في غير طائل:

والله ما هتفوا لك	ولا استطابوا دخولك
يا مسرح الكون رفقا	بهم وعَجَلُ أْفُولِكَ
لو لم يؤدوا رسوم الدُّ	خول ما صفقوا لك
تسلّيًا لا سرورًا	يقرّظون فصولك
لو يدفع الغيظ غرمًا	إذًا لشقوا طبولك

صيام الفكر

دع اليوم زاد الفكر في صفحاته أنا اليوم عن زادي من الفكر صائم
وقد يهجر العقل الكتاب تدينًا كما تهجر القوتُ الجسمُ الطوام

العلم والحياة

إن أنت لم تفقههم الحياة فكُن حيًّا فتغنَى بها عن الفهم
ما العلم مغنيك عن محاسنها وهي غناء كافٍ عن العلم
وكل علم لم يَحْيِ صاحبه أحب منه جهالة العجم

إن لم تكن متفائلًا فكُن حجة للمتفائلين

قلبي إذا غالبه رَيْبُهُ في آنة فهو بعذرٍ قمين
شكوت من بعض الحياة الأذى وما لها عندي شكاة تشين
إن ألقَ منها الشرَّ لَقَّيْتُهَا خيرًا وإن خانت فإنني الأمين
حسبي غفرانًا لريبي بها أني فيها من دواعي اليقين
أجني مرير الشك منها وبني تؤكد الإيمان للآخرين
إن زارنا فحقٌّ وإن زال بنا الريب فحق مبین

الشعر دار لا دير

الشعر باب الحياة عندي لا مهربي من حياة جدي
لم أقصد الدير من حماه وإنما الدار منه قصدي

قصد الطبيعة

سنة بين قرها ولظاها
سنة! والعناصر الهوج يَقْطَى
تنسج الماء والهواء وشيئاً
لنرى في صباح يوم بهيج
أيها المؤمنون بالقصد هاكم
أيها الوثاقون بالعمر مهلاً
والغواشي من ليلها وضحاها
في سمواتها وتحت ثراها
من سناها ونفحة من شذاها
زهرةً يشهد المساء مداها
من أصول الحياة قصد هداها
إنما العمر زهرة في نداها

على البعد! إن كان لا بد من البعد

يا حكيمي وعليمي والذي
لا تقل لي إنما حسن الدنى
إن يكن ذاك صحيحاً فابتعد
وتكن في الحق أدرى بكلاً
أنت مخدوع عن «الأحسن» إن
والذي تزعمه ذا غرة
جهل الأسرار وانقاد لها
يعرف الأسرار عرفاناً شديداً
خدعة تفتن من كان بعيداً
وانظر العالم تنظره رشيداً
جانبه وتعيش فيه سعيداً
عشتَ «بالأسوأ» ترعاه وحيداً
هو أستاذك إن كنت مفيداً
فوعاها كلها وعياً شديداً

الجنس

أيما لفظة جرت
تشتهي الزوج من فئة
ليس بالجسم وحده
من فم المرأة امرأة
والأخلاء من فئة
يعرف «الجنس» منشأه

ميزان الرجال

ل نقصت وزناً بعد وزن	سُنجات ^١ ميزان الرجا
كبرى خلتُ ظهرًا لبطن	حتى رأيت الكِفَّة الـ
ل سوى التشبه والتظني	فإذا وزنت فلا رجا
م فبات عُشْر العُشْر يغني	ما كان يغنيننا التما

ذكرى الموتى تُحيي الأحياء

إن الحقوق لمستحقيها	لا تظلموا الموتى أمانتهم
تركت لنا الدنيا وما فيها	أَنْضُ بالذكرى على مهج
فالذكر يُحيينا ويُحييها	برًا بنا إن لم نبر بها

الاستعمار

حجة المستعمرين أنهم يفتحون البلاد لضيق أوطانهم عن أبنائها، وهؤلاء المستعمرون هم أنفسهم الذين يجزلون المكافآت ويخلقون المزايا الاجتماعية لتشجيع النسل، وزيادة الذرية، كأن أوطانهم مقفرة من السكان!

ترعون كل أب في الحي ولاد!	ضقتم بأولادكم ذرعًا فما لكمو
لمنّ نما ولدًا فيكم بمرصاد	لو صح مذهبكم قامت شرائعكم
مُشيئًا بحفاوات وأعياد	ولاغتدى كل ميت بينكم بطلًا
ومنّ حمى الناس فهو الآثم العادي	وقيل منّ عاث شرًّا فهو محتسب
غزو الديار وسلب الجائع الصادي	لعل ذلك يُغنيكم ويمنعكم

^١ سُنجات: جمع سُنجة، وهو ما يوضع في كف الميزان ليوزن به.

تفاؤل وتشاؤم

ليس بالزاهد في دنـ ياه مَنْ يقسو عليها
من قسى يوماً كمن با ت على شوق إليها
هكذا من يشتهي معـ شوقه في حالتها

العشق المهتدي

اعشقُ جمال البرايا نماذجًا لا فَرَادَى
تبلغ مدى الحب معنًى ولا تضل مرادا

اشتراكي يعلل الربيع

لكل شيء علة مادية أو اقتصادية عريقة الأصول عند الاشتراكيين، وكل مخالف لهم فهو متهم مأجور، وإن لم يدر أنه متهم مأجور! ومن ورائه مكيدة للمستغلين وأصحاب رءوس الأموال، وهم عدد قليل يستأثر بأعمال العدد الكثير من الناس! وما القول في جمال الطبيعة وفتنة الربيع؟
هما أيضًا مكيدة «رأسمالية» إن صحت الرواية الآتية!

رفيق أول:

إن الربيع جميل صه! ذاك قول دخيل

رفيق ثان:

ألست تعلم أن الرِّ بيع شيء ثقيل
وأنه من صنيع للغش فيه أصول

رفيق أول:

مَنْ غشه يا صديقي؟

رفيق ثان:

حقاً لأنت جهول

مستأثرون القليل

لهم وظل ظليل؟

قد غشه الأغنياء الـ

أليس فيه متاع

رفيق أول:

وذاك مني فضول

وأي شرح يطول

باتت إليهم تميل؟

لكن بعيشك قل لي

بأي برهان صدق

قد أقنعوا الأرض حتى

رفيق ثان:

فيما أراك تقول!

حقاً لأنت عجيب

رفيق أول:

في جوفها يا زميل

منها إليها يئول؟

فقد أتاك الدليل

وأكدته عقول

س والدُّعاة العدول

مرضى وطبع وبيل

ونقضه مستحيل!

برشوة دفنتها

ألا ترى التبر فيها

فافهم إذن يا صديقي

وأيدته شهود

الأرض والشمس والنا

لهم ضمائر سوء

بذاك «ماركس» أفتى

درجات الفضائل

لا تقل فاجر وبرٌّ ولكن
رب حق فيه نفيس ومردو
إنما الفاضل الذي فضله في الـ
قل هو الصدق والمِرءاء صنوف
ل ومَينُ يرجى ومَينُ يخيف
خير والشر فاضل وشريف

الإباحية الحديثة

تعري الناس لا حباً لعري
فمن عاف التكشف فليجنهم
ولكن أنكروا الطمر القديم
بجلباب يزينهم سليما

ربيعيات

الفاكهة المحرمة

إذا نهيتَ إنساناً عن الخمر، فشربها للذتها وهو يؤمن بأنها حرام؛ فالمسألة هنا هي مسألة الخمر، والقوة المتمثلة هنا هي قوة الإغراء على الشراب.

أما إذا نهيتَه عن الخمر فشربها؛ لأنه لا يؤمن بحقك في نهيه وأمره؛ فالمسألة هنا هي مسألة السلطان والرغبة في تحديه، وليست الخمر إذاً إلا مظهرًا للنزاع بين الأمر والمأمور.

والفرق بين تهتك العصر الحديث وتهتك العصر القديم هو هذا: هو أن المُتهتَّك القديم كانت تغلبه لذة الشيء المنهي عنه، أما المُتهتَّك الحديث فتغلبه شهوة التمرد والجموح:

فاكهة الجنة الحرام	ما زالت معشوقة الأنام
تناولوا من جنك حيناً	شوقاً إلى لذة الطعام
واستطلعوا السر منك حيناً	والسر أمنية ترام
وذاق منك الثقة حيناً	ليفثئوا صورة الصيام
وهاجمتك الغزاة حيناً	هجمة صيد أو اغتنام
أما بنو عصرنا فبدع	في غزوهم ذلك المقام
فما ابتغوا لذة ولا هُم	طلاب سر أو التهام
لكنهم قاربوك كبراً	وأولعوا فيك بالملام
تحدي الحارس المغالي	وشهوة السبق في الزحام

أزهار الذكرى

قطفت أزهار الذكرى أصيلاً
فبِتُّ أضاحك الأفلاك سخرًا
فصوّح حسنّها قبل العشيّ
وأرثى للذّكور وللنسيّ
إذا ما كان هذا عمر حبي
فيا بؤس الغرام الآدميّ

* * *

وصاح الحب لا تعجل فإنني
ضع الأزهار في ماء، وجدد
كما نُبِئتُ من طفل ذكيّ
روافدها من الشجر الجنّيّ
تعش ما شئت في حسن نضير
وفي أمن من الهجر الخفيّ

* * *

نعم يا حب أنت على صواب
وضعتُ الزهر في الماء المُصَفّى
فيا لك من وليد عبقريّ
وعدت إليه بالرغد الزكيّ
وطفول عهده عهد وفيّ
وعندك حكمة الخلد الصبيّ
نعم يا حب أنت على صواب
فلا ماض يدوم بلا جديد
إذا مات الغرام بلا طعام
ولا حيّ يعيش بغير ريّ
فتلك طبيعة في كل حيّ

ابنا النور (الزهر يخاطب الجواهر)

يا جواهر الحسن لا تضعني
فالزهر والجواهر المصفى
لديك بالموضع المهان
صنوان في النور توأمان
أشعة النور في يدينا
لكننا بيننا اختلفنا
يا جواهر الحسن في الصّيان
بالسيف والرمح والسنان
تصونها أنت من بعيد
ولم تنزل في يدي كنزًا
يُصان بالعطف والحنان

ومعدن النور فيَّ حي
فيا زمانًا بلا حياة
كلُّ له من أبيه حظ
ونحن بالخط راضيان
وفيك معنى الحياة فان
إنِّي حياة بلا زمان

عودة الكروان

مرحبًا أيها البشير ومرحى
جاءنا رائد الكراوين في جنـ
فإذا الليل خافق، وظلام الـ
وغنمنا عامًا من العمر لما
والربيع الجديد يدني إلى الما
كلما زاد بالمواسم عدًّا
فكأن الربيع معنى قديم
بعد طول السكوت ليلاً وصباحا
ح من الغيب يفتح العام فتحا
ليل طلق آية الليل فصحي
عاد ماضي الربيع والأرض فرحى
ضي شابًا ويربح العمر ربعا
خلته قل بالحياة وصحًا
في طويل الزمان يزداد شرحا

مرحبًا بالبشير بل ألف مرحى
واملاً الليل بالنداء على الحب
أنت لا شك موقظ منه وسنا
قد سمعنا بالقلوب وصدقـ
لست بالمادح المريب فلولاً
قد سمعناك فاملاً السمع صدحا
بِ مُصِرًّا على النداء مُلِحًا
نأ معيد له إذا ما تنحَّى
ذاك فاسبح بحمد دنياك سبحا
فتنة في الحياة ما قلت مدحا

مرحبًا بالذي إذا ارتجل السا
المعيد الزمان جيلاً فجيلاً
أبدًا مذكري وإن نشأ العام
أنت ذكرى وأنت بشرى فهيها
لك لمح كالبرق في عالم الصو
عة أوحى في النظر ما ليس يوحى
وهو في ضحوة من العمر أضحي
عهودًا من سالف العمر مرحى
ت لقلب عن أي نهجيك منحى
ت يشق الظلام جنحًا فجنحا

ويرينا الحياة وهلة حلم	تنجلي عالمًا، وتعبر لمحا
أمة الطير لا عدمنًا نصيحًا	منكم يبهج الخواطر نصحا
مؤمنًا بالرجاء يُزجي إلينا	من رجاء ما غاب حينًا وشحًا
داعيًا للحياة لم يألُ نضحًا	من مزاميرها ولم يألُ نفحا
أنتم من مراحل الشوق فيها	شرر يقدح الضمائر قدحا
تطلبون الجمال كالعاشق المط	للوب لا كالأثيم يطلب صفحا
كل من بشروا من الناس بالخير	ر عيال على العصافير طلحي
لا ترى الشك في سرور ومنها	كل يوم قتلى شرور وجرحى

* * *

زعموا اليوم نائحًا ظلموا البو	م فلم يشك في الخرائب برحا ^١
إنما كان مغرمًا يتغنّى	أو مجدًا يغالب العيش نجحا

فصل الحب

هناك سنبلة في كل نابثة	وها هنا ريشة في كل منقار
قضى الزمان حقوق الزهر وابتدأت	حقوق فاكهة تنمي وأثمار
فالغصن والطير هبًا يلقيان معًا	بنيهما بين أكمام وأوكار

عزاء

قلت للقلب كيف حسن العزاء	بعد فقد الصحابة الأوفياء؟
قال لي القلب وهو يزعم أن لم	يتبدل شيء من الأشياء

^١ البرج: الشدة والأذى.

كل شيء كعهده لا جبال الـ
قلت يا قلب قد صدقت ولكن
إن يكن ذاك خير ما أنت فيه
أرض غارت ولا نجوم السماء
بلغ الصدق منك جهد الرياء
من عزاء، فذاك شر البلاء

يومنا

يومنا عاد، فهل تعرفه؟
شد ما غذته في نشأته
هي تنمي حين تغذو طفلها
شد ما رعرعه العام السريع؟
قبلات تشبع الحب الرضيع
وهي تنمي طفلها حين تجيع

سنة كانت ربيعاً كلها
زهريها ناهيك من زهر، فإن
حبذا الشوك من الحب ولا
بين روض يتغنى ويضوع
أنبتت شوگا، يكن شوك ربيع
حبذا من غيره العشب المريع

غُضَّ عينيك قليلاً واستعدْ
كم ترى من خفقة غنَّتْ بها
كم ترى من قبلة رنت بها
كم ترى من نشوة حامت بنا
إن يطل شرح المعاني فاختصر
هو «حب» فإذا فرقته
هو حب واحد لكنه
لم يكرر قط في ترداد
فإذا عشت له عشت به
أين يمضي بك يا يوم السرى
طفت ما طفت وسأقتك لنا
خطوات العام في الأفق الواسع
ساعة العمر التي بين الضلوع
تلکم الساعة؟ قل لو تستطيع!
حول عُلَّيين والعرش الرفيع
كل ما فرقت في معنى جميع
فهو ما راع قديماً ويروع
شائع كالنور من حيث يشيع
كل ترداد له خلق بديع
في بواكير من العيش الينيع
وعنان الحب يا يوم مطيع؟
صحبة إن ضاع شيء لا تضيع

وعلى العهد مدى العمر هنا نحن يا يوم ومأواك منيع
أبدًا نللقاك والحب معًا ها هنا بين مُضَيٍّ ورجوع

حذار!

قلت للحب تجرد لمحّة من كناناتك وادخل بسلام
قال لا تخش فإنني قادم غير ما عاد ولا باغي خصام
ثم أمسينا وبني من طعنه حرقات داميات وسمام
قلت: من أين سهام مزقت ذلك القلب فأمسى لا ينام؟!
قال: من ريشي إذا الريش نما ومن الوهم إذا جن الظلام

* * *

يا أمين القلب لا تأمن له حول مغنانا ولا ترع الذمام
أنت إن عرّيته من ثوبه نبتت من جلده تلك السهام
ومن الوهم لديه عدة قصفت شكتها كل حسام

مرقص الشجر أو جنون الرقص

عجبًا ما لذا الشجر؟ جنّ أو مسه سكر!
ودّ لو يتبع النسيب م طليقًا من القدر
كل ما فيه راقص ثائر ثورة الخطر
يترامى مرفرفًا ذاهب السمع والبصر!
يحسب اللهو فانيًا أو مجدًا على سفر
هكذا تصنع الحسا ن مع اللهو والسمر
إن زهتهن فتنة قلن للقلب لا ندر
أو تدوّقن لذة قلن لا ينفع الحذر

على شاطئ البحر

يا جيرة البحر غوصوا	في كل قاع برود
ما البحر عنكم بمغنٍ	على اطراد الورود
جيرانه في احتراق	على اختلاف الوقود
ما بين لمع سماء	وبين لمع حدود
فلا نجوا بقلوب	ولا نجوا بجلود

القمرء

إن في القمرء من سحر الصبا	مسحة تفتن عين الذاكر
تلمح العالم فيها مثلما	لاح في عين شباب باكر
بين نور كشعاع المختلى	وانتباه كنعاس الخادر

إلى ضحية الغيرة

أنتِ مظلومة وما أنا بالظا	لم بل نحن في القضاء سواء
غيرة الحب جرعتنا ظنوناً	لك فيها ولي كذاك شقاء

على البحر

حبذا البحر من قويّ غرير	كاغترار الصبا بغير حساب
نفث النوم في جنوني وزجّي	سكرات الأحلام في أعصابي
نمتُ ليلي عليه نومة موتى	وتيقظت يقظة الأرباب

أجمع الموت والربوبية تخرج من معانيهما بمعنى الشباب

الشتاء والربيع

كل بادٍ يريد أن يتوارى في الشتاء المُغلَّف المسدود
كل خافٍ يريد أن يتجلى في الربيع المزخرف المشهود
هات لي العالم الصريح ودعنا من حياة خجلى وطبع برود

في القمر

في الليلة القمرء ما أحلى النظر! لكل شيء لاح في ضوء القمر
حتى الثرى، حتى الحصى، حتى الحجر

ليست من الأجرَّ هاتيك البنى لا بل خيال من ظلام وسنى
كخيلة الأشكال في السحب لنا

أكاد عند رؤيتي طلاءها أرسل عيني لما وراءها
كما تخوض نظرة قضاءها

قد شف بالصخرة مصباح الدجى فكيف بالنفس وكيف بالحجا
عاش على مر الليالي مسرجا

حيرة

لك الله يا حب من حيرة تهد القوى وتبُتُّ الأجل
أرى الحيوان سعيدًا به وإن الشقيَّ به من عقل
أترضاه فوق منال الظنو ن وما فوقها فهو فوق الأمل؟
وإلا فكيف تطيق الظنو ن وأهون ما في الظنون الخبل؟

هدية

في الروض رمان وكُمِّ ثرى تغازل منك ثغرا
فيم استبحت ذمارها فهصرتها بالراح هصر
أمن القلوب حسبتها فعلوتها قطعًا وبترا
لا تشك من عدل الجزا ء إذا أصابت منك ثأرا
جرحتك حين جنيتها فاعرف لها ذنبًا وعذرا

ثمر الرياض! تعال يا ثمر الرياض! جُزيتَ عشرا
آليت لا لُبًّا تركـ ت ولا تركت عليك قشرا
خذ هذه؟ خذ تلك؟ ها ت اللب هات القشر مُرًا
أتعضه شوقًا إليـ ه ومهجتي بالشوق حَرَى
لا غرو تستحلي المذا ق فأنت بالحلواء أدرى

نعم الثمار أحبها نظمًا كما اتفقتُ ونثرا
أهديتنىها من ريا ضك زنت يا روضي فشكرا
فاضت على قلبي هوَى وجرت على شفتي شعرا

العيش جميل!

صفحة الجو على الزر	قاء كالخد الصقيل
لمعة الشمس كعين	لمعت نحو خليل
رجفة الزهر كجسم	هزه الشوق الدخيل
حيث يمتت مروج	وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشيء	إنما العيش جميل!

متاع جديد

من جديد المتاع يوم خريف	تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيا في الأربعين وديع	تحت بث الغرام شب سريعا
نضح القلب بالجمال فسوى	من ثنايا الغضون وجهًا بديعا
ذاك أحلى من الشباب شبابًا	ومنى النفس ما يعز رجوعا

متفرقات

تكریم

أُلْقِيَتْ في الاحتفال الذي أقامه أبناء أسوان المقيمون بالقاهرة؛ تكريمًا لصاحب السعادة إبراهيم عامر باشا، الذي تبرع للدفاع الوطني بخمسة آلاف جنيه، وكان أسبق المتبرعين، وقد أُنْعِمَ عليه برتبة الباشوية، وأُقيِمَ الاحتفال لهذه المناسبة:

بلدة الشمس والجبال	كيف لا تنجب الرجال؟
أنجبت مثل عامر	وهو في الهمة المثال
الذي في جهاده	سبق القول بالفعال
والذي كان أول الصـ	ف في حومة النضال
عندما نُودِيَ «الدفا	ع» بدا فارس المجال
وتلا مَنْ تلا وصا	ل بنو النيل حيث صال
أشجع الناس باذل	هزم الشح والمطال
كرم النفس كالشجا	عة من أندر الخصار

* * *

يا بني موطني! وأنـ	تم على ذروة القلال
كُرمُوا الذروة التي	رفعت هامة الهلال
رفعت أَرْوُسًا وطا	لت مع المجد حيث طال
واحمدوا في احتفالكم	أجدر الناس باحتفال

والعِظاميَّ في الخلال	العصاميَّ في الغنى
فشأى عصبه الرجال	والذي جد وحده
في تجاراته حلال	والذي كل درهم
نة والصدق في المقال	زانه الله بالأما
ولا يعرف الكلال	والمضاء الذي يجدّ
غير ضيق ولا اختلال	والنظام السويّ في
من له العزم رأس مال	يتبع المال صاغراً

* * *

حازَ من قبله ونال	لقب حازه وكم
فهو ذو الفضل لا جدال	لم يزد فضله به

* * *

خير دار، وخير آل	كرّموه تكرموا
قط من معدن الكمال	إن أُسْوَان ما خلت
د وأنموذج الجمال	صخرها جوهر الخلو
من بَنِيهَا بخير حال	وبنوها وأنتم
ل من الأعصر الخوال	لكم المجد لا يزا
لا جنوب ولا شمال	إنما المجد بالعلا

* * *

مي وجاري على اتصال	يا صديق ويا ابن قو
شيمة فيك لا تُنال	أقرب القرب بيننا
مة طبع وفي اعتدال	شيمة النُّبل في استقا
لا يُغالي بها اختيال	شيمة العزة التي
أبعد الناس مستمال	إنها جيرة لها
هانئاً في هدوء بال	لا تزل غانماً بها
لك ويرعاك ذو الجلال	يرتضي سعيك المَلِيد

وحواليك دولة من محبيك لا تدال
تتلقاك نعمة أبد الدهر في اقتبال

نداء طفل

أُرْسِلْتُ إلى عروسين:

سرى إلى الأذان	في غفوة الوسنان
نداء طفل جريء	مستعجل لهفان
عجبت منه صغيراً	يقول طلق اللسان
«أبي كريم وأمي	كريمة في الحسان»
كلاهما في رواء	من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤاد	مجمل بالحنان
كلاهما يتمنى	بين الصغار مكاني
فلي أحق رجاء	في عالم الإنسان
وفي ولادة يُمنّ	تُزَفُّ بالمهرجان
وفي احتفال ختان	وفي احتفال قرآن
وفي احتفال نجاح	يجوز كل امتحان
هيا ادعواني سريعاً	إليكما واهدياني
وقرباً لي ضياء الشـ	موس والأكوان

* * *

قالوا: انتظر! قال: لا لا	هيها لست بوان
قالوا تعقل قليلا	يا أعقل الفتيان!
فكل شيء لدينا	موكّل بأوان
أتحسب العيش رهناً	بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط	وقال في عنفوان
ما لي أنا؟ أنا ما لي؟	هيا ادعواني ادعواني

أتأبى ان لقاءى ما أنتما منصفانِ

* * *

لا تعذلوه إذا ما	أطال في الهذيانِ
فالطفل غير صبور	على الحجا والبيانِ
والطفل هيهات يدري	يومًا بحكم الزمانِ
فاستمهلاه برفق	وحيلة وافتنانِ
ولا تطيلا عليه	في الغيب عد الثواني
فكلنا نترجى	قدومه في أمانِ

إلى صديقي موفق جلال في الشهر الثامن عشر من عمره المديد

يا صاحبي يا أصغر الـ	أصحاب في سن وقد
يا شاغلًا من حيز الـ	آمال والأحلام عندي
ما ليس يشغله كبار	ر القوم في قرب وبُعدِ
أنا عالم أن لست تهـ	وى صحبتي إلا لقصدِ
إلا لحلوى في يدي	أو لعبة أو هزٌّ مهدِ
أو صفحة تعدو إلى	تمزيقها كالمستعدِّ
أنا عالم ما فيك من	مكر ونسيان لعهدِ
لكنَّ أوفى الأوفيا	ء وأين هم في كل عهدٍ؟
لا يبلغون مداك في	شوقي وإيثاري وحمدي
وقبول ما تقضيه من	عطف ومن تيه وصدِّ
والعض من تلك الثنا	يا الناشطات إلى التعدي
وطويل حقد لا يطو	ل هنيهة وقصير حقدِ
وفنون هزل لا تزا	ل تجد فيها أي جدِّ
وعناد رأي لا يليـ	ن ولا يكف عن التحدي
وتغاضب يجدي إذا	كان التوسل ليس يجدي

أنا عالم هذا وذا ك وبالغ في العلم جهدي
لكن أراك سحرتني فإذا بعلمي زاد ودِّي

* * *

عش يا موفق دائم التَّ ووفيق مقرونًا بسعدٍ
مستمتعًا بحنان أمَّ برة وأب وجدَّ
حتى نراك تشق مض مار الدهاء بغير ندَّ
جهد الحكاية أن تُدا ري في غد ما أنت مُبدِّ

إلى طبيب العيون الدكتور نصر فريد

قل لآسي العيون نصر فريد قد عرفناك هادي الهادين
رُبَّ عين هديتها لضياء وضياء تهديه طوعًا لعين
كل من حاد منهما قَوْمَته نظرة منك فاهتدى بعد أين
عجبي من زجاجة تنتقيها فإذا الكون مشرق الصفحتين
أين شأن الزجاج من ذاك لولا نور علم يضيء في الخافقين

تحية موسيقية إلى ملك العراق

اقترحتها إحدى الفرق الغنائية لإنشادها في رحلة إلى بغداد:

غازي قلوب الشعب بالكرم والفضل والتدبير والحسنى
غازي العدى بالبأس والهمم حسنت طوالع سعدك اليمنى
أحييت في بغداد للدنيا عهدًا كعهد أخيك مأمون
تحيا وشعبك دائمًا يحيا في موطن بهداك مأمون

* * *

دُمْ يَا إِمَامَ الْعَرَبِ مُشْتَمَلًا بِالْمَلِكِ فِي عِزٍّ وَإِقْبَالٍ
وَأَجْعَلْ شَبَابَ الْعَرْشِ مُتَصِلًا فِي مَجْدِهِ بِشَبَابِكَ الْغَالِي

القلم المسروق

زاملني في السجن ذاك القلم^١ وَنَالَ مَا نَالَنِي مِنْ قَسَمٍ
وَمَسَّ مِنْ فِكْرِي وَأَسْرَارِهِ مَا رَامَهُ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُرَمِ
فَرُبَّ مَعْنَى مَا وَعَاهُ سَوَى رِيَشَتِهِ ثُمَّ انطوى فأنحسم
وَكَمْ لَهُ مِنْ حِصَّةٍ تُرْتَضَى فِيمَا جَرَى مِنْ أَدَبٍ أَوْ حَكَمٍ
وَكَمْ لَهُ مِنْ نَفْحَةٍ كَالصَّبَا وَكَمْ لَهُ مِنْ لَفْحَةٍ كَالضَّرَمِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ زَهْرِ مُجْتَنَى وَكَمْ لَهُ مِنْ ثَمَرٍ مُلْتَهَمٍ
سَجَّلَ مَا سَجَّلَ مِنْ رَحْمَةٍ أَوْ نَقْمَةٍ مَرَّتْ بِأَرْضِ الْهَرَمِ

وَرُبَّ مُسْكِينٍ قَضَى حَقَّهُ وَغَاشِمٍ أَحْصَى عَلَيْهِ اللَّيْمَ
أَعَزَّزْتَهُ عَنْ حَلِيَّةٍ تُقْتَنَى وَصَنَّتْهُ عَنْ غَالِيَاتِ الْقَيْمِ
وَلِي أَخٌ يَذْكُرُنِي بِالنِّعَمِ فَقُلْتُ أَجْزِي بَعْضُ تِلْكَ النِّعَمِ
فَلَمْ أَجِدْ أَنْفَسَ مِنْهُ لِمَنْ مَحَّضَنِي قَلْبًا نَفِيسَ الشَّيْمِ
قَدْ صَانَ مَا أَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ فَغَيْرَ بَدْعٍ أَنْ يَصُونَ الْقَلَمَ
يُظَلُّ يَسْتَوْحِيهِ فِي كُلِّ مَا أَوْحَى وَيُرْعَاهُ كَرْعِي الذِّمِّ
رِعَاهُ فِي أَمْنٍ إِلَى أَنْ قَضَى عَلَيْهِ بِالْفَقْدِ قَضَاءُ حَتَمِ
فَغَالَهُ مِنْهُ لَصُوصٌ لَهُمْ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ فَرَصَةٌ تُغْتَنَمِ
فِي يَوْمٍ حَشَرَ حَافِلَ الْمَزْدَحِمِ ضَلَّتْ بِهِ الْعَيْنُ مَكَانَ الْقَدَمِ
قَدْ نَامَ عَنْهُ لَمَحَةٌ فِي الضُّحَى فَبَاتَ فِي لَيْلَتِهِ لَمْ يَنْمِ

^١ كان هذا القلم من الودائع التي بقيت في السجن أشهرًا ملفوفة محبوسة كذلك.

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم	وصالح اليأس عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى	في كف خَوَانٍ ولا مُتَّهِم
ولا تخط الجهل في صفحة	«أبيض» ما فيها سوادِ الحمم
ولا تكن يا قلمي آلة	تشتمني باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لي من هنا	ومن هنا تنحى على مَنْ نظم
بدأت في الأوج فلا تنحدر	إلى حضيض الذل في المختتم

شبيه القلم المفقود

شبيه القلم المفقود	د في لون وفي حجم
وفي البائع والشاري	وفي الصنعة والرسم
ستغنيني إذا استغنيـ	ت بعد الروح بالجسم
أو استغني بتمثال	فؤاد الأب والأم
إذا عزاها عن را	حل عزى على رغم
وقد يسلى إلى حين	وفي السلوة ما يدمي

رثاء

رثاء غانم

كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر، ثم طاف ببعض إخوانه، ورجع إلى بيته، فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه — رحمه الله — وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات:

أكان وداعاً يوم صافحتُ غانماً	وهنأته بالعيد والعيد يسخرُ!
فيا ويح للداعين في غفلة المنى	يُرَجُّون طول العمر والعمر مُدْبِرُ
ويا ويح للأبناء يا خير والد	وقد رُوعوا في وكرهم حين بشروا
أذاك صياح العيد أم أنا سامع	صياح يتامى في الجَمَى تتفطرُ؟
تلاحق في تلك الثغور كلاهما	فيا هول ما نصغي إليه وننظرُ
وددتُ وقد ضنّ البشير بصدقه	لو أنّ نذيراً بالمساكين يعبرُ
أغانم إنني في مصابك ذاهل	قليل التعزي سافر الحزن مضمرُ
بذلت دموعي في بكاك رخيصة	ومثلك من يُبكي ويُرثى ويُذكرُ
أفي كل يوم تبصر العين غانماً	ومن أين؟ والأخلاق في الناس تندُرُ
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه	أخاً في وغي الأيام لا يتقهقرُ
وفياً إذا شاع الوفاء وإنه	عليه إذا عز الوفاء لأَقْدَرُ
كريماً إذا صال العداة وزمجروا	كريماً إذا خان الصحاب وقصروا
صبوراً على ضَرِّ الغريم وإنه	على الضر من ظلم الصديق لأَصْبَرُ
ضليعاً بأعباء الأمور إذا ونى	مدبّر أمر أو أساء مُقَدَّرُ

أخوك «أمين» ^١ فرَّق العام منكما	صفيين لم يفرقهما ما يكدرُ
على موعد العام لقصير التقيتما	فليتك من يسهو ومن يتأخرُ
سلام الخصال الصالحات عليكما	وحمد المعالي والثناء المعطرُ
ولا زال في دار المعارف منكما	صنيع على الأيام يروي ويشكرُ

على أطلال الدنيا

إذا انطوت الدنيا لم يبقَ من أبنائها أحد، فليس هناك خسارة، وليس هناك من يشعر بالخسارة.

وإذا شهد للدنيا شاهد بالخير، فإنما يكون هذا الشاهد من أبنائها، وإنما يشهد بما أعطته وأغدقت عليه، وإنما شهادته نفسها عطية من عطاياها وكلمة من لسانها، فليست هي بالشهادة المقبولة.

وإذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر؛ لأن النتيجة هي العدم:

قضيت الآن يا دنيا فقري	لمن أرثيك؟ ويحك! لست أدري
فما أنجبت غير ذويك نسلا	وهم تبعوك في أعماق قبر
وماذا فيك من نخر جميل	لعين «المستقل» المستقرُ
أراك كما اشتهى الأحياء طرًا	فأما الميتون فلست أدري
وكنت على ضيائك أنت مرأى	وسيمًا في عيون بنيك يسري
فأما الآخرون فما استهلوا	عليك ولا رأوك بعين حرّ
إليك ومنك من وجدوك حينًا	ومن فقدوك بعد ضياع عمرٍ
حسبنا جانبك على استواء	فيا لك حسبة ختمت بصفرٍ

^١ الأستاذ أمين لطفي، وقد توفي أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد.